تقارير ودراسات

ATHARAH
فقه تدبير المعرفة

أفضل العصور

ديفيد بيرلينسكي

ترجمة:
سمية محروس

تحرير:
عبد الرحمن عمر القيّام

atharah.com

أفـــضـــــــل

الـعـصــــور

أفضل العصور

ديفيد بيرلينسكي

ترجمة:

سمية محروس

تحرير:

عبد الرحمن عمر القِيّام

المحتويات

أفضل العصور 7
- القرن العشرين 8
- نظرية ويج في تفسير التاريخ 9
- عين حائرة 11
- العنف 12
- القتل 13
- ثمانمائة عام من التدهور 16
- رسم غور البياني 19
- الجحيم 20
- حقائق غيفن 21
- القتلى 24
- بدائيو العصور الوسطى 27
- خطأ منهجي 29
- بداية الحرب 31
- العشوائية التي تفرض نفسها 33
- الاستقلال 35
- الحرب العالمية الأولى 37
- سبب الحرب 44
- جرائم عظيمة 48
- حُجّةٌ واهية 51
- بحر من الدماء 56

تعريف لبعض المصطلحات 61

الهوامش 64

المصدر 76

أفضل العصور

"كانوا رجالاً -بكل ما تحمله الكلمة من معنى- في مواجهة الظلام"

– جوزيف كونراد

في أوائل القرن الخامس بعد الميلاد، تسنّى للقس الإسباني باولوس أوروسيوس الفرصة لنشر أحد أعماله وهو سبعة كتبٍ تاريخية في الرد على الوثنيين Historiarum Adversum Paganos Libri باللاتينية، كان أوروسيوس تلميذًا لدى القديس أوغسطين، وكان الغرض الأساسي من الكتب السبعة هو الدفاع عن النصرانية ضد التهم الوثنية المُوَجَّهَة لها بأنَّها سرَّعت أو كانت السبب في انهيار الإمبراطورية الرومانية. وواجه أوروسيوس طعنهم المشبوه هذا بجعل الدائرة تدور عليهم. حيث احتج بأنَّه إنْ كانت الأحوال قد ساءت في القرن الخامس في ظل النصرانية، فإنَّها كانت أسوأ من ذلك بكثير قبل النصرانية. ويُعَدُّ مُؤَلَّفُه سِجِّلًا مُفَصَّلًا عن عنف ووحشية وحماقة الوثنيين في الماضي.[1]

أما القديس أوغسطين - الذي رحَّب بأوروسيوس في بادئ الأمر واعتبره حليفًا - سرعان ما نبذه واعتبره مغفلًا.

القرن العشرين

في مُسْتَهَلِّ القرن العشرين وتحديدًا في أغسطس من عام ١٩١٤، [2] لم يشهد هذا القرن أيَّ احترامٍ للكرامة الإنسانية. أو حتى تطبيقٍ لتفسير ويج للتاريخ Whig interpretation of history(*). وبعد مضي خمسة أعوام فقط على هذا التاريخ، تساءلت الشاعرة الروسية آنّا أخماتوفا ما إذا كان هذا القرن أسوأ من أي قرنٍ مضى.. بل كان أسوأ بكثير. [3]

مات في القرن العشرين، مئتان وواحد وثلاثون مليونَ رجلٍ، وامرأةٍ وطفلٍ، قُتِلوا بوحشية، فمنهم من وُضِعَ في حفرة وأُطْلِقَ عليه النار، ومنهم من قُتِلَ في مخابئ الشرطة السِرّيّة، وآخرون اختنقوا في أفران الغاز النازية، كثيرون أُجْبِرُوا على العمل حتى الموت في مناجم القطب الشمالي ومعسكرات الأخشاب، ناهيك عن ضحايا المجاعات المُفْتَعَلَةِ والتجارب الصناعية الطائشة؛ شعوبٌ مُزِّقَتْ بأكملها على يد جيوش أجنبية وفُجِّرُوا ليصيروا أشلاءَ، وشُرِّدَ الملايين على الحدود الأوروبية والآسيوية المنتهكة. [4]

وفي كتابه " الصراع على السيادة في أوروبا The Struggle for Mastery in Europe" قال أ. ج. ب. تايلور مُعَلِّقًا على الفترة بين نشأة مؤتمر برلين ١٨٧٨واندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ "لم تشهد أوروبا فترة مليئة بالسلام والطمأنينة كهذه منذ عهد الأنطونيين(*)." [5]

لم يكن ليخطر على بال أيِّ شخصٍ في القرن التاسع عشر أنَّ العالم من الممكن أن يُرِيقَ الكثير من الدماء، أو أنْ يكون لديه تَعَطُّشٌ لذلك. [6]

نظرية ويج في تفسير التاريخ

وُلِدَ روبرت ساوذي الشاعر الحالم عام ١٧٧٤ وتوفي عام ١٨٤٣. مثل وردزوورث، كان ساوذي مُؤيِّدًا للثورة الفرنسية، وأيضًا شعر بإحباط شديد بعد أن خذلته الثورة التي كان من مؤيديها. وكان عازمًا على أن لا يصيبه الإحباط مرة أخرى. ففي عام ١٨٢٤ نشر ساوذي كتابه Sir Thomas More, or Colloquies on the Progress and Prospects of Society. وكنتيجة لارتباط ساوذي الوثيق بالريف الإنجليزي وبخاصة منطقة "البحيرة"، استخدم ساوذي كتابه هذا ليُعَبِّرَ عن اعتراضه الشديد على انحطاط الحياة الريفية.

ولكن توماس بابنجتون ماكولي يرى أن ساوذي كان بمعزلٍ عن زمانه ومكانه. فالرجل لم يُصِبْ في أيٍّ مما يحكيه عن الماضي، فكيف بما يحكيه عن المستقبل؟

> "بما أن رؤيتنا تختلف بشدة عن رؤية ساوذي في ما يتعلق بنمو المجتمع في الماضي، فليس من الغريب أن تختلف رؤيتنا أيضا في ما يتعلق بالمصير المحتمل الناتج عن هذا النمو. يعتقد ساوذي أن البلاد تنحو منحاها نحو الانهيار... أما نحن فنؤمن بالميل الفطري لعقل الإنسان نحو الحق والميل الفطري للمجتمعات لتحسين ذاتها."[7]

لماذا كان هذا الميل فطريًا؟ ماكولي لم يوضح.

جاء الرد على ماكولي متأخرًا، إلا أنه كان مفحمًا، ففي عام ١٩٣٢ نشر المؤرخ هربرت بترفيلد كتيبًا صغيرًا عنوانه The Whig Interpretation of

Historyوانتقد فيه العديد من المؤرخين الذين يتبنَّون نفس نظرة الويج دون تعيين أسمائهم. كان بترفيلد داهية، ولم يستطع أحدٌ انتقاده كما انتقدَ هو تفسير الويج، واستطاع أن يزعم كما زعم ساوذي أن مؤرخي الويج كانوا مجرد قرويين عاطفيين.

أين أخطأ هؤلاء؟ كان ساوذي يعتبر مطلع القرن التاسع عشر جزءًا من تدهورٍ تاريخيٍ طويل. وفي الوقت الذي كانت فيه الأمور تزداد سوءًا بمرور الزمن، اعتبر مؤرخو الويج كلام ساوذي خاطئًا بالرغم من إقرارهم أن الأمور تزداد سوءًا.

> "لقد أراد مؤرخو الويج تطبيق نمط معين على التاريخ بأكمله، ليَنتُج في النهاية خطة تربط التاريخ ككل بصورة جميلة على مر العصور وهذا تطبيق لمبدأ التطور. [التأكيد مضاف]"[8]

ومبدأ التطور هذا يُشَوِّهُ السردَّ التاريخيَّ، وخيرُ مثال على هذا -كما أضاف بترفيلد- :

> "أنه لا يزال كثير من الناس ينظرون للعصور الوسطى على أنَّها عصور الظلام عندما كممت السلطات الأفواه، على أنها فترة كان عصر النهضة ردَّ فعلٍ عليها، والإصلاح الديني هو الثورة العظيمة."[9]

بعد مائة عام تقريبًا، استعاد تاريخ العصور الوسطى حيويةً لا مثيل لها.[10]

وهي نفس الحيوية التي اكتسبها تفسير ويج للتاريخ.

عين حائرة

من الصعب النظر إلى القرن العشرين بعين ثابتة، فالجرائم البشعة تجعل العين حائرة، حتى أن ستيفن بينكر أوشك أن يصيبه الحَوَل جَرّاء هذا، ويظهر هذا في كتابه الوجه الملائكي لطبيعتنا البشرية The Better Angels of Our Nature، حيث زعم أنَّ الأحوال اليوم ليست سيئةً للغاية، باعتبار أنها كانت أكثر سوءًا من قبل، لذلك، فلا بد أنها أفضل الآن.

> "صَدِّق أو لا تصدق، نسبة العنف تقل مع مرور الزمن، وقد تكون الفترة التي نعيشها هي أكثر الفترات سلامًا في تاريخ الإنسانية... هذا تقدم واضح." [11]

يعتقد بينكر أن هذه حقيقة يتم تجاهلها، وأحيانًا يتم إنكارها، لأن المؤرخين الذين لم يَطَّلعوا على المنظور الذي تبناه بينكر فشلوا في رؤية الصورة الكاملة التي تكوَّنت على مر القرون. لم يُرَحِّبْ المؤرخون بكتابه بحرارة، لكنَّهم لم يتنكَّروا له ببرود.[12] ولكن بينكر يُصِرُّ على أنَّ استنتاجاته مبنية على أسس علمية وكمية.[13]

أما إذا كانت استنتاجاته صحيحة لتلكم الأسباب أو لا، فهذه مسألة أخرى.

يُسَمّي بينكر الفترة بين نهاية الحرب العالمية الثانية وعام ٢٠١٠ أو ٢٠١١ بفترة السلام الطويلة.[14] أما طول الفترة من عدمه، فهو في الحقيقة أمرٌ نسبيٌّ، أما بالنسبة لكونها فترة سلامٍ، فهذا أمرٌ خاطئٌ تمامًا. فالثورة الشيوعية الصينية، وانقسام الهند، والقفزة العظيمة للأمام[*]، والثورة الثقافية، وقمع التبت، والحرب الكورية، والحروب الهندوصينية، والحرب

المصرية اليمنية، والحرب الفرنسية الجزائرية، والإبادة الجماعية التي قام بها نظام بول بوت، والثورة الإيرانية، والحرب الإيرانية العراقية، والتطهير العرقي في رواندا وبوروندي ويوغوسلافيا السابقة، والغزو الأمريكي الروسي السافر لأفغانستان، والغزو الأمريكي للعراق، والعديد من المذابح، والمجاعات، والعصيان المدني، وإراقة الدماء، وضرب الأعناق، وشرطة الموت، والعداوات اللاهوتية، والتفجيرات الانتحاريَّة التي وقعت في أمريكا اللاتينية وامتدت لتصل إلى تيمور الشرقية، كلُّ هذه الأمور حدثت في هذه الفترة.

نُشِرَ كتاب الوجه الملائكي لطبيعتنا البشرية عام ٢٠١١. ولو لم يتعامل بينكر مع وجهات نظره كما لو أنَّها -كالأنظمة السياسية والاقتصادية- تخضع لكثير من الصراعات، لربما بدت تنبؤاته عن المستقبل كما لو أنها نبوءات أكثر مما تبدو عليه الآن. ولكن كان توقيته سيئًا.

العنف

لا شك أن العنف ليس خاصيَّةً يمكن قياسها. إذا كان من الممكن إدراج الانفجار النجمي وهجوم الحيوانات تحت مسمى العنف، فهذا يجعل مفهوم العنف واسعًا بحيث لا يمكن للمؤرخين رسم حدٍّ فاصلٍ بين المعركة العنيفة والجريمة العنيفة؛ أو يكون المفهوم ضَيِّقًا جدًا مما يجعل من الصعب توصيف كليهما. من الممكن أن يكن العنف جَلِيًا أو خفيًا، مُنَظَّمًا أو عشوائيًا أو غير متعمدٍ، مُعَلَنًا أو غير معلنٍ. هناك دول عنيفة ومجتمعات عنيفة، ومن الممكن أن يشتعل العنف، أو يغلي، أو يفور، أو ينفجر، أو يهيج، أو ينحسر، أو يتسرَّب، أو ينتشر، أو يُفْسِد، أو يزداد؛ ومن الممكن أن يكون مُقَيَّدًا، أو

مُنَظَّمًا، أو مُوَزَّعًا، أو مكبوتًا؛ ومن الممكن أنْ يُحَرِّرَ، أو يُسَمِّمَ أو يُطَهِّرَ؛ ومن الممكن أن يكون مُتَوحِّشًا، أو مجنونًا، أو لاعقلانيًا، أو لامُباليًا، أو عاديًّا، أو غير متعمدٍ، أو غير مباشرٍ، أو لفظيًا، أو غير ظاهرٍ.[15]

هذه هي الأحوال التي يُدْرجها علماء الاجتماع تحت مسمّى العنف. في الأعوام القلائل الماضية، لاحظ جيرد شويرهوف أنَّ "معدل جرائم القتل يعتبر مؤشِّرًا مَقِيْسًا لدرجة العنف في فترة زمنية محددة"،[16] فالمجتمع الذي يرتفع فيه معدل جرائم القتل مجتمع عنيف، ولكن العكس ليس صحيحًا بالضرورة؛ إذ كان من المُلاحَظِ أنَّ المجتمعات المتطرفة في استخدام العنف تصبح شوارعها أكثر أمنًا إذا امتلأت معسكرات الاعتقال لديهم. ألمانيا لم تشهد انخفاضًا في نِسَبِ القتل منذ عام ١٨٨٢ إلا في عام ١٩٣٩، وظلت مستقرة نسبيًا لمدة سبعين عامًا.[17] إن الإحصائيات السوفيتية لعام ١٩٣٧ -الوقت الذي امتلأت فيه زنازين الإعدام في سجن لوبيانكا، وامتلأت الميادين خارج موسكو بالجثث المتعفنة- غير جديرة بالثقة؛[18] فلدينا نظام حكم ستالين الذي وصل إلى حدِّ اعتبار التبوُّل في الطرقات على أنه تعمدٌ لإثارة الشَّغَبِ، لذا؛ فإنَّ نِسَبَ جرائم القتل غير السياسية -إنْ وُثِّقَتْ- لا بد أن تكون قليلة.[19]

القتل

يُرْمَزُ لمعدل القتل بالنسبة ق/س حيث عدد القتلى ق إلى عدد السكان س في مدينة ما، أو منطقة، أو ولاية، أو مقاطعة، أو بلد، أو حتى في العالم أجمع. غالبًا ما يُحْسَبُ هذا المعدل سنويًا، ويتم تحويل النسبة الناتجة إلى جزء في

الـ١٠٠٠٠٠ عبر ضربها بـ١٠٠٠٠٠. في النسبة ق/س، ق تَرْمُز للخصائص وترمز س للفئة، ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر؛ فقولك: مات خمس رجال دون ذكرك للفئة، هو بلا فائدة كقولك: كان هناك ثلاث نساء بدينات. لأنَّ الفئة في إحصائيات القتل تُعَدُّ دليلًا تاريخيًا، أو اجتماعيًا، أو قانونيًا، على أنَّ نِسَبَ القتلِ عشوائية، ويمكن إيضاح هذه النقطة من خلال الأمثلة التالية.

فلنفترض أن هناك مدينةً تُدْعَى م مقسمة إلى عدة مناطق صغيرة ص١، ص٢، ص٣، ص٤، ص٥، وعدد السكان وعدد القتلى كما يلي:[20]

ص١=٢٠٠٠٠٠

ق = ٥٠

ص٢=٥٠٠٠٠

ق = ٠

ص٣= ٥٠٠٠٠

ق= ٠

ص٤=٥٠٠٠٠

ق= ٠

ص٥=٥٠٠٠٠

ق= ٠

معدل القتل في المدينة م هو ق/ص =١٢.٥ لكل١٠٠٠٠٠ وهذا مخالف لمتوسط كل منطقة على حدة. الأمر الغامض حقًا هو معدل القتل للمنطقة ص١ حيث جميع القتلى. هل ينبغي حقًا أن تكون ق/ص١ = ١٢.٥ لكل ١٠٠٠٠٠، فقط لأن ص١ جزء من م؟ سيبدو وكأن ثمَّةَ تلاعُبٌ بالأرقام

لتبدو نسبة العنف في ص١ أقل؛ بالرغم أن عدد القتلى هو نفسه ولم يتم تقليله. بما أن ق/س تصغُر وتقترب من الصفر كلما زادت س واقتربت من المالانهاية ∞؛ فإنَّ معدل القتل من الممكن أن يقل دائمًا بازدياد الفئة س.

وعلى النقيض، يرى ألبرت ريس أنه إذا كان القتل مستمرًا في منطقة ما، فإنَّ المطلوب هو "حساب حجم السكان المُعَرَّضين للأحداث أو المتورطين فيها: كالضحايا أو الجُناة"[21] وهذا يعني أنه بدلًا من أن يكون معدل القتل في ص١ = ١٢.٥ لكل ١٠٠٠٠٠٠، بحساب عدد الضحايا سيكون لدينا: ق/ص١= ٢٥ لكل ١٠٠٠٠٠٠.

لكن على الرغم من دعم البعض لهذه الطريقة إلا أنها تبدو مستحيلة التطبيق، فإنه يمكن دائما تقسيم الفئة فيمكن تقسيم س إلى س١ وس٢ وبهذا يكون لدينا س= س١ U س٢، وس١= ق، وس٢=[س-ق]. وبالتالي يصبح لدينا ق/س١=١ و ق/س٢=٠. ليست هناك إحصائية أفضل من ق "لحساب السكان المُعَرَّضين للتورط في الأحداث" وليست هناك إحصائية أفضل من [س- ق] لحساب العكس.

وعلى أيَّةِ حال، فإن الطريقتين مع اختلافهما، تَعْتَبِرَان بأنه طالما ص١ موجودة فإن نسبة القتل فيها إمّا أنْ تكون ٢٥ أو ١٢.٥ لكل ١٠٠٠٠٠٠، وبالطبع لا يمكن للنسبتين أن تَثْبُتا معًا أو أن تَنْتَفِيا معًا.

أما معدلات القتل، فلا بد من تواجدها في الإحصائية لأنها تشير إلى احتمالية وقوع الخطر. إذا اخْتِيْرَت نسبة القتل عشوائيًا من الفئة س ربما يلاحظ المرء أن نسبة خطر موته مقتولًا هي ق/س، وبمعنىً آخر، فإن احتمالية قتله كبيرة جدًا. المشكلة الآن تكمن في التعريف الصحيح للفئة،

لأنه بدون الفئة ليس هناك مقياس للخطر، وبدون وجود مقياس للخطر، لا نستطيع إقناع أحدٍ بتوخّي الحذر. لا بد أن نلاحظ أن استخدام النسبة ق/س عند الحديث عن الخطر والموت واحتماليتهما، هو في الحقيقة افتراض أن النسبة ق/س تعني معدل القتل الموجود في س.

هذه التساؤلات داعمةٌ لما اسماه عالم المنطق هانز رايخينباخ التباس الفئة، حيث كتب رايخينباخ "إذا طُلِبَ منا إيجاد احتمالية وقوع حدث ما في المستقبل فلا بد أولًا أن نُحَدِّدَ الفئة المناسبة لهذا الحدث. فالشيء الواحد أو الحدث الواحد من الممكن أن يندرج تحت العديد من الفئات، وسَتُنْتِج كل فئة احتمالية مختلفة عن الأخرى." [22]

فلنفترض أن أحد أعضاء المافيا اسمه برونو سكويزانو، والذي كان يقطن في يومٍ ما مدينةَ باليرمو الموجودة في صقلية، التي هي في إيطاليا، والتي هي في أوروبا، الموجودة في العالم، يريد أن يحسب فرصته في الموت بوحشية سيجد نفسه محتارًا بسبب كثرة الأخطار المحتملة.

حسنًا، هذا يعتمد على الظروف برونو.

ثمانمائة عام من التدهور

بالنسبة لأيّ شخصٍ يزعم أن الأمور اليوم أفضل، لأنَّها كانت في يومٍ ما أسوأ، فالعصور الوسطى هي خير شاهد على ذلك. يعتقد الكثيرون أنَّ انتهاء العصور الوسطى يُعَدُّ من الإنجازات التي تَفْخر بها الحضارة الحديثة. من الممكن أنْ تُفَكِّرَ أنَّه من المستحيل لأيّ عالم معاصر أن يُطْلِقَ مثل هذا

الحكم الخاطئ، ولكن، مع ذلك، فإن رجلًا راجحَ العقل كبينكر قال ذات مرة: "كان الناس في العصور الوسطى مقززين"[23]

مقززين؟

كانوا يأكلون بأيديهم، ويخرجون المخاط بأصابعهم، ويكثرون من التجشؤ حول المائدة، "ولم يكونوا يأخذون حِذْرَهُم بما يكفي ليتستروا في حال سِفَاحِهم"[24]

وعندما يَفْرُغ الرجال في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر من ممارسة الفاحشة علانيةً، كانوا ينغمسون في قتل بعضهم البعض أثناء المشاجرات في الحانات أو يتقاتلون على فتيات الحانات، ونتيجةً لعدم توافر الشُّوَكِ لديهم، واستخدامهم السكاكين في الأكل بدلًا منها، كان للسكاكين استخدام آخر غير الأكل، خاصةً إذا دَبَّ خلاف وهم يَطْعَمون، فقد كانوا يُسَوُّون خلافاتهم بالسكاكين.[25]

متى كان يتسنى لهم الأكل يا ترى! لا أحد يعلم ذلك!

في مقالِه "العنف بين الأفراد في المجتمع الإنجليزي: ١٣٠٠: ١٩٨٠ Interpersonal Violence in English Society 1300-1980"، كتب لورانس ستون: في الماضي كانت معدلات القتل في بريطانيا أعلى بكثير منها الآن.[26] وبالرغم من أنَّ التعليق على الجرائم ليس من اختصاص المؤرخين عادةً، إلّا أَن مقال ستون كان بمثابة إضافةِ الزيتِ للنار بتأييده غير المُتَوَقَّع هذا. والذي لفت انتباه ستون كان المقال الذي نشره تيد غور عام ١٩٨١ "التوجهات التاريخية في الجرائم العنيفة: استعراض حاسم للأدلة"[27]

كتبه غور مقالَه للعلماء بصفته باحثًا،[28] وفي تفسيره للتاريخ الإنجليزي في القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر اعتمد على مَصْدَرَينِ اثنين؛ [29] وهما رسالة الدكتوراه لجيمس غيفن بجامعة ستانفورد- المجتمع والقتل في بريطانيا في القرن الثالث عشر Society and Homicide in Thirteenth-Century England - بالإضافة إلى مقال كارل هامر "أنماط العنف في الجامعات الريفية بالعصور الوسطى- أكسفورد في القرن الربع عشر: Patterns of Violence in a Medieval University town: Fourteenth-Century Oxford.[30]

زَعَمَ غور، وتبنَّى ستون نفس وجهة نظره، أن حوادث القتل في بريطانيا انخفضت بنسبة ١٠ إلى ١ على الأقل منذ القرن الثالث عشر،[31] وأوضح غور مقاله برسم بياني بسيط واضح بحيث لا يخفى على أحد مراده؛ وهو أن نِسَبَ القتل انخفضت بنسبة كبيرة.[32]

بعد نَشْرِ غور لمقالته باثنين وعشرين عامًا، ذكر الباحث في علم الجرائم مانويل إيسنر أنه يرى تمامًا ما رأى غور؛ وهو حدوث انخفاض كبير في معدل الجرائم على مدار ثمانمائة عام. وإضافةً إلى ذلك، عَلَّق إيسنر على مقال غور الأصلي قائلًا أنَّ مقاله "مؤهل ليكون واحدًا من أكثر الدراسات تأثيرًا في تاريخ دراسة علم الجريمة."[33]

وبالفعل يُعَد مقال غور حاليًا دراسة تاريخية فريدة.

رسم غور البياني

الفرضية التي تقول بأن نِسَبَ القتل قَلَّت على مدار ثمانمائة عام مبنيةٌ في الأصل على حالات محدودة استقرأها مقال غور، ولكن لم تُخَصَّص لها دراسة إلا نادرًا. حتى غور نفسه لم يحاول إثبات فرضيته، بل حتى المنحنى المرسوم في الرسم البياني والذي يَصِلُ نقاط البيانات في هذا المقال، مرسوم بخط اليد كما أكَّد غور نفسه. وبالتالي ليس هناك أي دليل إحصائي. أضف إلى ذلك أن نقاط البيانات بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر مفقودة. جدير بالذكر أنَّ كُلًا من جامعة أكسفورد ولندن اختلفتا في حسابهما لمتوسط معدل جرائم القتل في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، واختلفت لندن على نفسها في حسابه في القرن الرابع عشر بمعامل 3. على الرغم من أن الرسم البياني لغور تَضَمَّنَ الثمانمائة عام، إلا أنه يخلو حتى من فواصلٍ بين القرون. وعلى الجانب الأيمن من الرسم البياني يوجد خطٌّ متعرجٌ غامض. في الرسم البياني يوجد ٢١ نقطة بيانات، ولم يُسَمِّ إلا أربعًا منها فقط، ولم يذكر مصادر أيٍّ من البيانات، وأشاد غور بجهود كل من غيفن وهامر، ويكأن ثلاثتهم اشتركوا في الرسم البياني.

بنى هامر دراسته على مخطوطات محققي الوفيات في العصور الوسطى، أما غيفن فبناها على سجلات محكمة آير في العصور الوسطى. مما جعل هامر يطرح تساؤلًا منهجيا يُعَرِّضُ بغيفن ومن دهائه دس سؤاله في الحواشي، ولكن بما أن هامر اعتمد على مخطوطات محققي الوفيات على عكس غيفن فتساؤل هامر يتضمن الجواب، حيث كتب هامر مشيدًا

بمصادره "ليس هناك أي وثائق من العصور الوسطى يمكن أن تقربنا من الحقيقة غير هذه."[34]

الجحيم

بين كل المدن المشار إليها في رسم غور، أكسفورد في القرن الرابع عشر كانت الأكثر إثارة للدهشة، حيث بلغ معدل القتل فيها ق/س= ١٢١ لكل ١٠٠٠٠٠، [35] وهي نفس نسبة انتشار المخدرات في أمريكا اللاتينية. أدرك عالم حصيف كهامر أن هذه الأرقام غير منطقية. لا شك أن أكسفورد العصور الوسطى كانت مرتع الشباب وكان القتل لعبتهم، وتعامل هامر مع هذه المسألة بطرح السؤال التالي: كيف ستكون معدلات القتل لو كانت تقاس في أكسفورد على حسب الأعمار؟

> "إذا كنا سنعتمد على هذا الأساس لحساب معدل قتل الضحايا ستتراوح النتيجة بين ٦٠ إلى ٨٠ قتيلا في كل ١٠٠٠٠٠ من السكان العاديين، لايزال معدلًا مرتفعًا ولكنه لا يتجاوز معدلات القتل في المناطق الحضرية الأمريكية الكبيرة إلا بثلاث أو أربع مرات. لا شك أن هناك أحياء في نيو أورلينز أو أتلانتا أو ديترويت، معدلات القتل فيها أكبر بكثير من أكسفورد في العصور الوسطى، حيث تُطابِق معدلات القتل فيها تلك التي في قرى العصور الوسطى، أو تُجَاوزها. [التأكيد مضاف]" [36]

وبما أنَّ معدلات القتل في الواقع أقل إزعاجًا مما كان مُتَصَوَّرًا، تباينت الأقاويل حول معدلات القتل في أكسفورد في العصور الوسطى.

بالنسبة لهامر، أشارت المصادر الأصلية إلى أن العنف كان متزايدًا في أحياء نيو أورلينز، أتلانتا، أو ديترويت.

وبالنسبة لغور، "في هذا المجتمع، يُسْتَفَزُّ الرجال بسهولة، ويهاجمون خصومهم بوحشية مطلقة ".[37]

أما ستون فيرى أنها "أعلى معدلات جرائم القتل المسجلة في الغرب".[38]

وبالنسبة لبينكر، فهي بلا شك، الجحيم ذاته.

حقائق غيفن

كتب غيفن بصفته دارسًا لأحوال محكمة آير الإنجليزية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر: كانت هيئة القضاء العليا -محاكم آير- تنعقد في المقاطعات الإنجليزية على فترات متقطعة تتراوح بين شهور إلى سنوات.[39] وكان دورها الفصل في المرافعات الجنائية والمدنية على وجهٍ يروق الجهةَ الحاكمةَ، وكما أوضح دونالد ساذرلاند فإن هَمَّهم الأول والأخير كان البحث عن طرق تحصيل الأموال من خلال المرافعات، وهذا نهب سافر.[40] محاكم آير التي أُدْخِلَتْ في النظام القانوني الإنجليزي في أواخر القرن الثاني عشر، اختفت تمامًا بنهاية القرن الخامس عشر واستُبْدِلَ معظمها بمحاكم أسّايز courts of Assize. وأيًّا كان الدور الذي لعبته هذه المحاكم في الآلية الإدارية المُعَقَّدَة للحكم الإنجليزي، فإنَّه لا يمكن المقارنة بينها وبين محاكم آير فيما يخص قضايا القتل. حيث كانت مهمة محاكم أسّايز محدودة، إذ تركوا مهمة التنقيب عن الجثث للمسؤولين المحليين، ولمحققي الوفيات. سجلات محاكم آير كانت تُكْتَب باللغة اللاتينية القانونية، بأيدٍ مختلفة، وبأحبارٍ مختلفة،

وكانت التغطية على ذلك تتم بالتوقيعات التي يبدو أن الجهة الحاكمة فرضتها على كاتب المحكمة.

ترأّس روجر - من سيتون - محاكم لندن آير عام ١٢٧١، وكان روجر أمينًا بشأن جودة مخطوطاته حيث قال:

"لا أستطيع أن أضمن صحة كل ما في هذه المخطوطات لأسباب مختلفة، إذ في بعض الأحيان، يحدث شيءٌ، ويُدَوَّن شيءٌ آخر، وذلك لفشل الكَتَبَة المستمر في فهم المحامين والخصوم فهمًا صحيحًا."[41]

دَوَّنَ غيفن في أطروحته تقييمه لسبعة سجلات من محاكم آير وهم سجلات: بيدفورد، وبريستول، وكينت، ونورفولك، وأكسفورد، ووارويك، ولندن. يعود السجل الأول إلى عام ١٢٠٢، والأخير إلى ١٢٧٦. يُعَدُّ سجل وارويك عام ١٢٣٢ الأعلى في معدلات القتل في القرن الثالث عشر : ق/س =٦٤ لكل ١٠٠.٠٠٠؛ وتعد بريستول عام ١٢٤٨ الأقل: ق/س = ٤ لكل ١٠٠.٠٠٠. تعتمد هذه المعدلات على تقدير عدد السكان، و على اختيار الفئة. في حالة بيدفورد، ونورفولك، وأكسفورد، ووارويك، اعتمد غيفن في تقديراته تلك على كتاب دوميزدي ١٠٨٦Domesday Book ؛ أما بالنسبة للندن وأكسفورد، فاعتمد على كتاب سكان بريطانيا في العصور الوسطى British Medieval Population لجوسيا كوكس راسل[42]، وكتاب مجتمع العصور الوسطى A Medieval Society لرودني هيلتون على التوالي.[43] للاستفادة من كتاب دوميزدي، ضاعف غيفن أرقامه بنسبة ٢.٥ ٪ سنويًا. وهذا يتفق مع التحليل الديموغرافي المعاصر فقط إلى الحد الذي، إذا لم

يعرف أحدٌ أنَّ الأرقام الناتجة عن مضاعفة الأرقام بنسبة 2.5% صحيحة، فلا أحد يعرف أنَّها خاطئة. أما تقديرات راسل لعدد السكان كانت مبنية على الإقرارات الضريبية لعام 1377.

تُعَدُّ معرفة معدلات القتل في العصور الوسطى مرتبطة بمعرفة تقديرات السكان، بالطبع هو كذلك. ففي دراسته لإنجلترا في عصر أسرة بلانتاجينت، وجد مايكل بريستويتش سببًا لمراجعة التقديرات السكانية السابقة للندن في العصور الوسطى؛[44] وبالتالي مراجعة معدلات جرائم القتل السابقة. واستنادًا إلى تقدير عدد سكان لندن في منتصف القرن الرابع عشر والذي يتراوح بين خمسة وثلاثين إلى خمسين ألف نسمة سيكون معدل الجريمة في لندن ق/س ≈ ٤٤ لكل ١٠٠٠٠٠٠. وصرح بريستويتش أن العدد الحقيقي لسكان لندن يتراوح بين مائة ومائة وستة وسبعين ألف نسمة، مما يجعل معدل الجريمة ق/س ≈ ١٨ لكل ١٠٠٠٠٠٠ نسمة.

في مقالٍ بعنوان "مشرعو القانون ومخترقوه في لندن ١٢٧٦-١٣٢١ " "Peacekeepers and Lawbreakers in London, 1276–1321"والذي نُشِرَ في المجلد الأخير من إنجلترا في القرن الثالث عشر Thirteenth Century England، انتهى هنري سمرسون، بعد أن فحص مخطوطات المرافعات الرسمية لمحاكم آير لعام ١٣٢١، انتهى إلى أنَّ عدد القتلى في لندن في العصور الوسطى هو ق ≈ ١٥ سنويًا. وهذا يجعل معدل القتل ق/س ≈ ٣٧.٥ بفرض أن س = ٤٠٠٠٠٠؛ و ق/س ≈ ١٥ [45] بفرض أن س = ١٠٠٠٠٠٠؛ و ق/س ≈ ٨.٥٧١ بفرض أن س = ١٧٥٠٠٠.

في عام ٢٠١٢، كان معدل جرائم القتل في مقاطعة كولومبيا ق/س ≈ ١٣.٩. لا أحد يعلم تمامًا عدد سكان لندن في العصور الوسطى، وبالنسبة لسكان واشنطن العاصمة، فيعرفه آخر الأوغاد البائسين.هناك قَدْرٌ وافرٌ من التقديرات السكانية تم العمل عليها أثناء دراسة العصور الوسطى للوصول إلى عدد السكان. ولكن هذه التقديرات غير كافية. حتى أن غيفن نفسه توصل إلى استنتاجَين متباينَين تمامًا فيما يتعلق بمعدلات القتل في القرن الثالث عشر: اعْتَمَدَ في أحد الاستنتاجين على تقديراته هو، وفي الآخر على تقديرات راسل. والفرق بين الاستنتاجين شاسع جدًا. والعامل المشترك في كلا الاستنتاجين هو أن وارويك عام ١٢٣٢ كانت مرتع الأشرار – مثلها مثل آكرون، أوهايو – ولكن وِفْقًا لتقديرات غيفن للسكان، فإنَّ ق/س =٦٤ لكل ١٠٠٠٠٠٠؛ ووِفْقًا لراسل فإنَّ ق/س = ٣٠ لكل ١٠٠٠٠٠٠.

ولا يمكن اعتبار هذا الفرق فرقًا بسيطًا.

القتلى

قد يُقتَلُ القتيلُ ضربًا، أو طعنًا في الرأس، أو بإطلاق رمح، أو دفعًا من مكانٍ مرتفع، أو خَنْقًا، أو سَحْقًا بشدّة، أو عن طريق وَضْعِه في بئر، أو بتقديم السُّم له، وغير ذلك من طرق القتل التي نتسائل حيالها: هل تَدْخُل في حساب معدلات جرائم القتل في سنة معينة؟ فإذا كان من غير الممكن تقدير حجم سكان القرن الثالث عشر بشكل موثوق، فإنه من غير الممكن أيضا تقدير عدد جرائم القتل في هذا القرن بشكل موثوق. تقديرات غيفن لا تُسْهِمُ بشكلٍ كافٍ في إثبات الفرضية الصادمة القائلة بأنَّ "المشاجرات وحوادث

القتل العنيفة... كانت أحداثًا يوميةً في إنجلترا في العصور الوسطى.[46]"، بل لم تُثْبِتْ تقديراته شيئًا على الإطلاق. فمثلًا، تشير أرقام غيفن إلى وجود ١٦ جريمة قتل في بريستول بين عامي ١٢٢٧ و١٢٤٨؛ فلا يمكن اعتبار جرائم القتل حدثًا يوميًا في بريستول، إذ معدل جرائم القتل حسب تقديرات غيفن هو ٤ لكل ١٠٠٠٠٠٠؛ وهذا الرقم أقل استفزازًا من معدلات القتل في كلٍّ من ميامي وفيلادلفيا بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٢، إذ يبلغ معدل جرائم القتل في ميامي ١٥ لكل ١٠٠٠٠٠٠، ويبلغ في فيلادلفيا ٥.٧ لكل ١٠٠٠٠٠٠.

من الصعب الاعتماد على تقديرات غيفن لاسِيَّما أنَّ حساباته غير صحيحة. إذا كان عدد سكان بريستول ١٧٠٠٠ في عام ١٢٤٨ – وفقا لتقديرات غيفن – فإن جرائم القتل الخمس التي اقتبسها من سجلات محكمة آير لعام ١٢٤٨ تفيد أن معدلات جرائم القتل السنوية ١.٤ جريمة قتل لكل ١٠٠٠٠٠٠، وليس ٤ لكل ١٠٠٠٠٠٠. إن جرائم القتل الإحدى عشر المذكورة في سجل محاكم آير عام ١٢٢٧ تجعل معدل جرائم القتل السنوي ٣.٨ جريمة قتل لكل ١٠٠٠٠٠٠ هذا إذا استمرت جرائم القتل لمدة عشرين عاما. ولكن بما أن سجلات محكمة آير لعام ١٢٢٧ سجلت فقط جرائم القتل حتى١٢٢٧ عام، فإنَّه لا يمكن معرفة عدد السنوات التي رُفِعَتْ فيها قضايا جنائية ولم تُسَجِّلها محاكم آير فقط بالاعتماد على فرضية غيفن.

يُقالُ إنَّهُنَّ ستُّ سنوات؛ لكنَّ محكمة آير عام ١٢٢١، كانت موضوع بحثٍ شهيرٍ قام به فريدريك مايتلاند، والذي أجراه في مقاطعة جلوسيسترشاير، لا في مدينة بريستول. وفيما يتعلق بموثوقية المخطوطات، قال مايتلاند:

"أما فيما يتعلق بمعدلات جرائم القتل التي كانت هناك، فإنه لا يمكن تَوَقُّع إحصائياتها؛ إذ من الواضح أن نفسَّ القضية تُرْفَع أمام أكثر من محكمة، وهناك عراقيل أخرى تمنع من الوصول إلى حساب دقيق لهذه الإحصاءات."[47]

في الجدول رقم ١ من أُطروحته، ذكر غيفن سبعة سجلات مختلفة لمحاكم آير، بالإضافة إلى مواقعهم. بدايةً، عُقِدَت محاكم آير في لندن في عام ١٢٤٤ وعُقِدَتْ مرة أخرى في عام ١٢٧٦، أي بعد انقطاع دام مدة ٣٢ سنة. ولكن من الغريب أن غيفن يؤكد أنَّ الانقطاع لم يَدُمْ بين انعقاد المحكمة عام ١٢٧٦ وانعقاد المحكمة التي تسبقها إلا مُدَّةَ ٢٤ عامًا فقط. وبالنسبة لتسجيل معدلات جرائم القتل يذكر غيفن أن ق = ١٤٥ مما يعني ق/س = ١٥ لكل ١٠٠٠٠٠٠، ولكن لن يكون هذا الرقم صحيحًا إلا إذا كان وقت الانقطاع بين المحكمتين هو ٢٤ عامًا فقط وليس ٣٢ سنة. أما إذا كان ٣٢ سنة، فإن النسبة تصير ق/س = ١١ لكل ١٠٠٠٠٠٠، والفرق بينهما هو الثلث تقريبًا.

في الواقع، عُقِدَت محكمة آير في لندن عام ١٢٥١. وقد حسب غيفن عدد جرائم القتل بين ١٢٧٦ و١٢٤٤ ولكنه خَمَّنَ جرائم القتل للفترة بين ١٢٥١ و١٢٧٦. هل الفارق مهم إحصائيًا؟ ليس لدينا أدنى فكرة، إذ قد اختفت تمامًا سجلات محكمة آير لعام ١٢٥١.

بدائيو العصور الوسطى

إنَّ الفرضية القائلة بأنَّ معدلات جرائم القتل في القرنين الثالث عشر والرابع عشر كانت أعلى بنحو ثلاثين ضعف المعدلات المعاصرة مبنية على الإيمان الأعمى بأن الرجال والنساء في القرنين الثالث عشر والرابع عشر كانوا غير مُسْتَقِرّي المشاعر، سريعي الغضب، وطفوليين، وبما أنهم بالغون ويحملون أسلحةً، فإنَّ لجوءهم للعنف واردٌ جدًا.[48]

إنَّ سجلات المحكمة في العصور الوسطى وسجل الأحداث التاريخية أثَّرت على حكم الكثير من المؤرخين الحصيفين، ولولاها لكان حكمهم سديدًا. بل كان تأثيرها على علماء الجريمة أسوأ من ذلك، حيث أن مثلهم لا يمر بهذه السجلات مرور الكرام.

> "كان سيمونيه سبينيلي، وأغنيس عشيقته، وغيفري بيرمان معًا في منزل غيفري عندما نشب بينهما شجار؛ وغادر سيمونيه المنزل، وذهب في وقت لاحق من اليوم نفسه مع خادمه ريتشارد راسيل إلى منزل غودفري لو غورغر حيث وجد غيفري؛ ونشبت مشاجرة، وقَتَلَ كلٌ من ريتشارد وسيمونيه غيفري."[49]

وكان ذلك من سوء حظ غيفري طبعًا.

وعلَّق إيسنر على هذه القصة قائلًا: "إنَّ هذا هو المُطَرِّد في أحداث العنف الظرفي الذي يؤدي إلى القتل في القرن الثالث عشر في لندن . فالخلاف، والشجار يؤديان للقتال، والقتال يؤدي إلى الموت".[50]

إذا كانت القصة تُمَثُّل المُطَرِّدَ في العنف الظرفي الذي يؤدي إلى القتل في لندن في القرن الثالث عشر، فإنَّها أيضًا تُمَثل المُطَرِّد في العنف الظرفي الذي يؤدي إلى القتل في الولايات المتحدة في الوقت الحالي.

بالنظر إلى بعض البيانات العشوائية نجد الآتي:

- ذكرت الشرطة أنَّ رجلًا من جنوب فلوريدا مُتَّهَمٌ بقتل صديقته، وقد اعترف أنَّه بَقَرَ بطنها، ونزع أحشاءها بيديه المُجَرَّدَتَين، بعد أن ذكرت اسم زوجها السابق أثناء العلاقة الجنسية.
- صدم مغني راب مسيحي رجلًا من قاطني واشنطن العاصمة صدمة قاتلة بسيارته بعد جدل حول صفقة موسيقيّة. وفي يوم الإثنين رفض قاضي منطقة ماريلاند الإفراج بكفالة عن المتهم رايان أنطوني سالاندي، البالغ من العمر ٢٢ سنة، المُتَّهم بتهمة القتل من الدرجة الأولى، والتي أودت بحياة ويلي مكدانييل البالغ من العمر ٢١ عاما.
- وطبقًا لإفادة قسم شرطة لارامي، فقد نشب قتال في إحدى الحفلات في المبنى رقم ٧٠٠ في شارع نورث سيفنث، حيث اعترف ويليامز أنه لَكَمَ جو ماكغووان لكمة واحدة. وقد نقل جو ماكغووان أصدقاؤه إلى مستشفى إيفينسون ميموريال حيث كان يعاني من صدمة شديدة في الرأس، ووجده أصدقاؤه مغشيًّا عليه. ثم نُقِلَ جو ماكغووان إلى المركز الطبي لجبال الروكي بلوفلاند، كولورادو، حيث مات متأثرًا بإصابته حوالي الساعة ٢ مساءً في الأول من نوفمبر.

وهذه الجرائم هي من الجرائم الاعتيادية في القتل غير المُخَطَّط له، إذ الظروف ستكون واضحة لعلماء الجريمة والمؤرخين على حد سواء إذا قَضَوا

وقتًا أطول في قراءة صحيفة ديلي ميلDaily Mail ، أو صحيفة ديلي نيوز Daily News، أو صحيفة ناشيونال إنكويرر National Enquirer .

أو صحيفة ايفنينج ويريل The Evening Whirl، وبالمناسبة تلك الأخيرة ليست معروفة كثيرًا في هارفرد أو أكسفورد ولكنها معروفة جدًا في "سانت لويس". ولقد ذكر رئيس تحرير الصحيفة أنتوني ساندرز بارتياح مهني واضح: "نحن نُعَدُّ من أكثر الناس وحشية على وجه الأرض. نحن نقتل الناس بلا تمييز. فالقتل لا يحتاج دائمًا أن يكون مرتبطًا بالعصابات أو المُخَدِّرات. بل هناك أناس يخرجون ويقتلون الناس. وهذا يحدث في طول البلاد وعرضها."

خطأ منهجي

مُمَرِّرًا يده التي هي بحجم وشكل قُرْمة الجزار على شعره الرمادي الفضي، تفكر ماكبينكر وهو مُحَقِّقٌ مخضرم في جرائم القتل، في خطأٍ منهجي مستمر يحدث عند تحليل إحصائيات جرائم القتل.

قال بتثاقل: "لا شيء أقل من شيء"

رد مساعده ماكشيرمر: "لا أدري، سيدي، ولكن جرائم القتل انخفضت إلى حد كبير"

ولكن ماكبينكر هو المصيب. إن الفارق في جرائم القتل ليس دليلًا كافيا على انخفاض معدلات جرائم القتل. فعلى سبيل المثال يبلغ عدد سكان آكرون بولاية أوهايو ٢٠٠٠٠٠ نسمة ومعدل جرائم القتل لديها ١١.٦ لكل ١٠٠٠٠٠، بينما يبلغ عدد سكان مينيابوليس بولاية مينيسوتا ٤٠٠٠٠٠ نسمة. ومعدل جرائم القتل لديها ٢.٥ لكل ١٠٠٠٠٠. ولم تنخفض معدلات

جرائم القتل في مينيابوليس عن مستوى آكرون. لم تنخفض أو تقل أو تتضاءل.

وكما قال ألبيرتوس ماغنوس: "منارة إيطاليا لا تؤثر على منارة إنجلترا."

لا حاجة للجوء إلى الخيال لتفسير ما لم نجد عليه دليلًا، مثل تفسير قلة معدلات القتل بأن الناس صاروا يميلون إلى ضبط النفس فهذا سيجعلنا ندور في دائرة مفرغة.

"إذن هلا أنبأتني يا ماكشيرمر لِمَ جرائم القتل في طريقها إلى الانخفاض؟."

"أظن يا سيدي، أن الأشرار يحاولون تمالك أنفسهم بما أنهم صاروا يعملون لدى شركات مرموقة مثل جوجل".

"تقصد أنهم صاروا يمارسون الآن نوعا من ضبط النفس! هل تعتقد أن هؤلاء المنحطين استطاعوا فعلًا ضبط أنفسهم؟"

"حسنًا سيدي معدلات القتل انخفضت إلى حد ما"

كل ما يستطيع المرء أنْ يقوله هو أنَّ معدلات جرائم القتل في آكرون ومينيابولس متباينة.

ولكن تتباين معدلات جرائم القتل أيضًا في أكسفورد في القرنين الثالث عشر والعشرين، هذا كل في الأمر.

وأنهى سيده كلامه قائلًا: "لقد كَبُرْت على هذه المهمة ولقد قضيت بها دهرًا طويلًا".

بداية الحرب

بالنسبة لكل من يدَّعي أن الأمور الآن في تحسُّن، فإنَّه يطمئن إلى الفرضية التي تقول: إنَّ العنف في القرن العشرين كان سببه الصدفة. وفي هذا الصدد يُعَدُّ عمل الخبير الإحصائي الإنجليزي لويس فراي ريتشاردسون هدية غير متوقعة [51]. درس ريتشاردسون جذور الحرب منذ ١٨٢٠ حتى ١٩٥٠ وانتهى إلى أنَّ سلسلة الحروب الناتجة تتبع توزيع بواسون:

$$\Pr(X,\lambda) = \frac{\lambda^k e^{-\lambda}}{k!}$$

في هذه الصيغة، تشير X إلى متغير عشوائي، و λ إلى متوسط المعدل الذي تجري به الأحداث.

ينتمي توزيع بواسون لمجموعة صِيَغٍ يَعُدُّها علماء الإحصاء أفضل مجموعة لتوزيع الاحتمالات، وهي التي تشمل التوزيع الثنائي والطبيعي. عندما تكون احتمالية وقوع الحدث Pr صغيرة، وعدد تكراره k كبير، يكون توزيع بواسون مقاربًا للتوزيع الثنائي. وتقليل الاحتمالات يجعل توزيع بواسون يبدو وكأنه عملية عشوائية، وبلا طائل، كأنَّه مسألة حظ. إذا طبقنا توزيع بواسون على اندلاع الحرب، فإنَّ أكثر ما قد نقوله عن القرن العشرين: إنَّ هذه الأمور تحدث.

وهذا سيِّئٌ للغاية!

لذا فسواءً كان توزيع بواسون، أو أيَّ توزيع آخر، لا يمكننا أن نعتد بهم في هذا الصدد.

تشير الصيغة المُحَسَّنة Pr(X=k;λt) إلى احتمالية قيام X بحساب عدد الأحداث المتوقع حصولها أو وقوعها خلال فترات زمنية محددة. ومن ثَمَّ فإنَّ

$$\Pr(X = k;\lambda t) = e^{-\lambda t}\,\frac{(\lambda t)^k}{k!}$$

تُشير بدقة إلى احتمالية وقوع عدد k من الأحداث –والتي قد تكون حربًا، أو اثنتين، أو عدة حروب– والتي قد يعلن عنها قائدها بكل فخر، بحلول فترة زمنية معينة t –والتي قد تكون أيامًا، أو أسابيعَ، أو ساعاتٍ أو سنواتٍ–.

ذاع صيت توزيع بواسون خاصة بعد استخدام لاديسلاوس بورتكيويتش إياه، ونجاحها المدوي في تفسير توزيع احتمالات ركلات الحصان القاتلة أثناء القتال على ظهر الخيل في بروسيا. صعد الحصان، وسقط الفارس، وأدلى بورتكيويتش بِدَلْوِه في السجلِّ الإحصائي.

إن سلسلة البيانات التي هي سِجِلٌّ رقميٌّ محدود، شيء، وتوزيع بواسون، شيء آخر. فتوزيع بواسون -لوحده- يُعَدُّ دالَّة مُجَرَّدَةً عديمة المعنى f(X,λ). أما مطابقة البيانات مع التوزيع، فهذا عملُ عالِم الإحصاء.

أما *عملية* بواسون فهي على النقيض من ذلك؛ فهي وصفٌ رياضي لبعض الأحداث، وتقوم بربط الأحداث مع أماكنها.

افترض أن H(t) يرمز لعدد الأحداث التي تحدث في الفترات الزمنية [t,٠] عندما يكون H(t)=٠.

تكون العملية عملية بواسون في حالة:

1) الأحداث في فتراتٍ زمنيةٍ غيرِ مُشْتَرَكة مُسْتَقِلَّةٌ؛ [أي إنَّ احتماليةَ حدوثِ حدثٍ ما، لا تتأثر ولا تُؤَثِّر باحتمالية حدوث حدثٍ آخر].

2) بالنسبة لـ δt، يكون احتمال وقوع حدث واحد هو:

$$\Pr [H(t + \delta t) - H(t) = 1] = \lambda \delta t + o(\delta t),$$

حيث تؤول قيمة $o(\delta t)$ إلى الصفر كلما زادت قيمة (δt) واقتربت من المالانهاية.

3) يكون احتمال وقوع حدثين أو أكثر في نفس الفترة الزمنية الصغيرة هو:

$$\Pr [A(t + \delta t) - A(t) \geq 2] = o(\delta t).$$

العلاقة بين عملية بواسون وتوزيع بواسون دقيقة:

1. إذا كانت P عملية بواسون، فإن P تتوافق وتوزيع بواسون.

والعكس صحيح كذلك، بل إنه أولى أنْ يكون صحيحًا، لأنه يعني استخلاص توزيع بواسون من مصدره.

2. إذا كانت P تتماشى مع توزيع بواسون، فإن P تُعَبِّرُ عن عملية بواسون. ولا يخفى على أحد فساد هذا من المنظور المنطقي، ومن المنظور الرياضي، وغيرهما.[52]

العشوائية التي تفرض نفسها

أيًّا كانت تعريفات عملية بواسون –وهي كثيرة في علم الإحصاء والاحتمالات–، فكُلُّها غير ملائمةٍ إطلاقًا لدراسة الأحداث التاريخية.

في عملية بواسون المتجانسة، معدل المعامل λ ثابت منذ البداية ولا يتغير. وأوضح ويليام فيلر أن القوى والتأثيرات التي تحكم عملية بواسون "يجب أن

لا تتغير مطلقًا" طوال سير العملية، فلا يمكن التحكم بها كما لا يمكن التحكم بدوران القمر.[53]

إذا كانت الحرب تخضع لعملية بواسون المتجانسة، فإن الأمور من المستحيل أن تصير أفضل أو أن تتحسن. وهذا مخيبٌ لآمال شخص يقترح تخفيف حدة الحروب، بل ويمثل أيضًا مشكلة لشخصٍ- كبينكر- يرى أن ويلات الحرب تقل بالفعل مع مرور الزمن. ولكن بينكر له تقنية جدلية وهي: لا بأس أن نراجع حساباتنا، وهذه التقنية ملائمة جدًا في هذه الحالة. يقول بينكر: إن الحروب قد تكون عشوائية في طبيعتها وبالتالي يمكن أن تخضع لعملية بواسون، وقد يكون معدل المعامل متغيرًا في حالة إذا كان حلًّا ضئيلًا كالإشتراكية السويدية التي تدخلت في جميع الشؤون الإنسانية.

لذا فالنتيجة هي عملية بواسون غير متجانسة؛ وإذا كانت λ متغيرًا بشكل عشوائي فهذه عملية كوكس(*).

ولا يمكن مناقشة هذا القول، ولو لمجرد أنَّه بلا فائدة. وإذا كان بلا فائدة فلا علاقة له أيضًا بموضوعنا، لأنه يُخْرِج الادِّعاء بأن الحروب أحداث عشوائية من أي تقييم منطقي. من المعلوم أن أي مجموعة محدودة من نقاط البيانات يمكن تقريبها من خلال عملية كوكس. ومن الوارد جدًا أن يتوافق عالِمان سياسِيّان أحدهما يُصِرّ على أن الحروب تخضع لعملية بواسون، والآخر يُصِرّ على أنها لا تخضع.

لماذا نتقاتل أصلًا؟

الاستقلال

سيكون الحدثان A و B مستقلين إذا كان .$Pr(A\&B) = Pr(A) \times Pr(B)$

مواجهًا فوهة المدفع، وهو المكان الذي اختاره بنفسه بتبنّيه لبعض الأفكار في كتبه العظيمة، كتب فيلر طالما عملية بواسون تفي بالغرض:

> "فإنَّ احتمالية وقوع أي حدث ستظل ثابتةً مهما اختلفت الفترات الزمنية t، ومهما طالت أو قَصُرَت، ولن تتأثر بماضي النظام."[54]

لكن الحدث الواحد لا يمكن أن يقعَ في زمانَين مُخْتَلِفَين، كما لا يمكن أن يقع في مكانَين مُخْتَلِفَين. وكما عَوَّدَنا فيلر، فإنه يصيب عندما يُخطئ. تتطلب عملية بواسون تنسيق الأحداث مع أعدادها تنسيقًا دقيقًا، مع ذكر أعداد محددة (حربٌ واحدة، حربان، عدة حروب)، أما أنْ يُقالَ: "حروب"، فهذه لا يمكن تمييزُها، كما لو قِيْل: بوزونات(*)، في إحصاء بوز-اينشتاين(*). في سلسلة أحداث كالحروب، فإن احتمالات اندلاع حربٍ أو أخرى هي ذاتها في كل مكان، بصرف النظر عن الفترة زمنية التي ستندلع فيها هذه الحرب أو تلك. لكن هذا ليس افتراضًا صحيحًا بالكامل، ذلك لأنه يفيد بأن احتمالية بدء حرب في نفس يوم توقفها هي نفس احتمالية توقف الحرب في نفس يوم بدايتها.

وطالما لدى الإنسان ذاكرة، فإنه لا يمكن الفصل بين ما يحدث في الحاضر وبين ما حدث في الماضي، فاثنان لا يُفارِقان الإنسان: الذاكرة والجشع، ولهما تأثير شديد على مر التاريخ.

وإذا لم يَقُدْنا هذا إلى سلسلة من الأحداث المُسْتَقِلّة، فإنه لا يُرْجَى منه أن يفعل. الحدث إذا كان له مدلول فإنَّه يجب أن يقع في حيز زمني أو مكاني؛ ولهذا السبب، تنتمي الأحداث إلى فئة الأشياء التي يمكن عَدُّها. فمثلًا، يُقَالُ: كم عدد المعارك التي دارت رحاها خلال سنوات الحرب؟ وأين شُنَّت؟ لقد دارت الحرب الأهلية الروسية من بحر البلطيق في الشمال إلى أوديسا في الجنوب، ومن الأورال في الشرق إلى بوابات وارسو في الغرب. ليس لها حدود زمنية دقيقة؛ فهي اشتعلت فجأة وخمدت فجأة.

كم عدد الأحداث التي اشتملت عليها؟

قد يعتبر المؤرخ الروسي المهتم بالمسيرة الطويلة للتاريخ أنَّ الحرب الأهلية الروسية حدثٌ واحدٌ فقط؛ وكذلك قد يفعل المؤرخ البولندي؛ ولكن مع ذلك فالأحداث التي يقومون بحسابها لها حدود زمانية ومكانية مختلفة، ولا يمكن أن تكون شيئًا واحدًا. والسؤال يجب أن يكون عن عدد الذين يُقِرُّونَّ بعدم وجود إجابة منطقية شافية لأنَّ عملية العد تُحدَّد بشكل كامل عبر السياق؛ وتُحَدَّد محليًّا؛ وبعيدًا عن انشغال العديد من المؤرخين بالتوصيف؛ وأنَّ عملية العد غير مستقرة.

ولقد أدرك ريتشاردسون هذه النقاط تمام الإدراك. فعند الإجابة على سؤال: متى تندلع الحروب بالضبط؟ قال كلمة ذات وقع كبير: "مثل هذه الحماقات لا طائل منها."[55]

بالفعل. ومن المؤسِف أنه لم يُنْهِ كلمته، ولكنه صدق. الحروب ليست أعيانًا تُقَاس.

الحرب العالمية الأولى

كتب بينكر: "لا تمر لحظة إلا ويرمي مارس - إله الحرب - نرده الحديدي، فإذا ظهر الوجه الأول الذي يحمل نقطة واحدة، فإنه يرسل دولتين إلى الحرب"[56]

هل يفعل ذلك حقًا؟ وهل بالفعل يذهبون عندما يتم إرسالهم؟

بمقدوري دعوة الشر من قعر الجحيم
ترى لما بيدي فعلٌ كهذا الأليم
وهل تجيب قوى الشر ندائي العميم [57]

في أغسطس من عام ١٩١٤، بدا النظام السياسي الأوروبي الذي أُقِيم منذ مؤتمر فيينا مُسْتَقِرًا وقويًا، لكنَّه لم يكن كذلك كما كشفت لنا الأحداث. شنَّت القوى الأوروبية في القرن التاسع عشر الحرب في شبه جزيرة القرم، وسردينيا، والدنمارك، والنمسا، وفرنسا، و القوقاز، وواجهت أو احتوت ثورات في عام ١٨٣٠، و ١٨٤٨، و ١٨٧١، و ١٩٠٥، ولكن بما أن الدم سريع الجفاف، لم يتعلَّمْ هؤلاء الكثيرَ من أخطائهم، حتى توازن القوى، الذي آمن به كثيرٌ من دبلوماسييهم اللطفاء، لم يزد على أن أقنع الساسة الأوربيين أن أنظمة تحالفهم المتبدلة والمعقدة، التي فشلت مرارًا وتكرارًا في حفظ السلام، ستحميهم في المستقبل من الحروب.

في ٢٨ يونيو ١٩١٤، اغْتِيلَ الأرشيدوق فرانز فرديناند وزوجته صوفي، دوقة هوهنبيرغ، في سراييفو. قَتَلَهُما غافريلو برينسيب، وكان قوميًا صربيًا مُتَحَمِّسًا، أثاره أنَّ العديد ممن يُتَصَوَّر أنهم صرب من المفترض أن يكونوا

رعايا بوسنيين. كان مقتلهما حادثًا بقدر ما كان قَدَرًا، إذ ضَلَّ الأرشيدوق وزوجته طريقهما وفقدا حياتهما بسبب عدم كفاءة سائقهما.[58]

يا له من حظ عاثر!

في النمسا، كان الجنرال فرانز كونراد فون هوتزيندروف، رئيس الأركان، مُصَمِّمًا على شَنِّ حربٍ على صربيا، لكنَّه غيرُ قادرٍ على القيام بذلك بمفرده، لذا سعى للحصول على دعم وزير الخارجية النمساوي الكونت ليوبولد فون بيرشتولد، أو حتى قبوله.[59] لكن لم يكن هناك داعٍ لأن يرهق نفسه، فقد كان الباب الذي يفكر في دفعه مفتوحًا بالفعل. غالبًا ما كان الجيش النمساوي يعتقد أن بيرشتولد ضعيف. ولكنه الآن يتَمَلَّكه الإصرار فقد عاد للحياة وبدأ ينفث النيران.

بعد أن حصل كل من كونراد وبيرشتولد على موافقة بعضهما البعض بسهولة، طَلَبَا الموافقة أو على الأقل، عدم الممانعة من رئيس وزراء المجر الكونت إشتفان تيسا. أما تيسا فكان لديه أوهام قليلة حول السلام، والعديد من التحفظات بشأن الحرب. كان تيسا يرى أنه من الأولى الاستعانة بأصدقاء المملكة قبل إشراك أعدائها.

لم تكن صربيا وحيدة على الساحة الدولية. فقد كانت روسيا قد أمدَّتها بدرع التضامن السلافي الراسخ منذ عام ١٩٠٩. كانت الشكوك سائدة في النمسا بأن الوزير الروسي في صربيا، نيكولاس هارتويغ، كان له دور في تأجيج مشاعر الرجال الذين يحتاجون إلى القليل من التشجيع ليصبحوا عنيفين فقد كانوا بالفعل أشرارًا.[60] تُوُفِّي هارتويغ بنوبةٍ قلبيةٍ مفاجئة بعد أربعة أيام

من اغتيال فرانز فرديناند، وهي ظروف عزاها الصرب علانيةً للغدر النمساوي، وعزاها النمساويون سِرًّا إلى رحمة الله.

رأت فرنسا أنّه سيكون من الأفضل بكثير أن تقاتل ألمانيا وروسيا بعضهما البعض بدلًا من أن تقاتل فرنسا أيًّا منهما؛ فقد سعت إلى تعزيز تحالفٍ قويٍّ، وجده كل طرف لأسباب مختلفة مفيدًا بقدر ما هو غير طبيعي. علاوة على ذلك، كانت فرنسا الدائن الدولي لصربيا، ولذا كانت مترددة في التنازل عن دولة حريصة على اقتراض الأموال وعلى استعداد لسدادها.

في صيف عام ١٩١٤، كان للحكومة الملكية النمساوية المجرية حليفٌ في الإمبراطورية الألمانية. لذا من الضروري أن تستميلها بلطف خاصة أنه يربط بينهما اللغة والعادات ومعاهدة.[61]

كان تفكير ألمانيا واضحًا؛ فقد تؤدي ضربة نمساوية قوية مفاجئة إلى مباغتة حلفاء صربيا على حين غرة فلا تقدر صربيا على أخذ رد فعل، وإذا تم توجيه الضربة بذكاءٍ كافٍ، فلن تكون صربيا مستعدة للانتقام. سيسمح تأخير الحرب لروسيا أن تتذكر أنها، وهي التي أبرمت تحالفًا مع فرنسا الآن، كانت قد أبرمت سابقًا اتفاقية مع بريطانيا العظمى، وبالتالي فإنها تمسك العصا من المنتصف.

أُرْسِلَ الكونت ألكسندر هويوس من بالهاوسبلاتز *Ballhausplatz*، العامل في مكتب الخارجية النمساوي، إلى برلين وكُلِّف بطمأنة شكوك المسؤولين الألمان[62] من "قذارة" النمساويين المعتادة، فإنَّ النمساويين هذه المرة يَعْنُوْنَ ما يقولون، إذ جاءوا من أجل العمل فقط.[63]

لم يشهد الجيش الألماني أيَّ اتخاذٍ لأيِّ إجراءٍ في أوروبا منذ أكثر من ٣٠ عامًا: فأرادت ألمانيا أن تستغل هذه الفرصة إن لم يكن بالفوز بحرب، فعلى الأقل بشن واحدة؛ لذا أعطى وزير الخارجية الألماني ثيوبالد فون بيثمان هولفيغ، الذي كان كبيرشتولد حريصًا على الظهور بمظهر الحازم أمام جيشه، أعطى موافقته للنمسا باتخاذ الإجراءات دون أن يستفسر بما فيه الكفاية عن كيفية وموعد ردِّ النمساويين.

غادر هويوس برلين بعد أن حصل على ما جاء من أجله من تفويض.[64]

اقترح رئيس وزراء المجر الكونت تيسا على كونراد وبيرشتولد أنه قبل توجيه ضربة عسكرية، يجب إرسال إنذار دبلوماسي لصربيا، فإنْ رضخت فليس هناك حاجة إلى اتخاذ إجراءات عسكرية، وإلا سيكون التدخل العسكري مُبَرَّرًا.

وبالفعل أُرْسِلَ الإنذار النمساوي إلى المسؤولين الصرب في وقت متأخر من الثالث والعشرين من يوليو، بعد شهر تقريبًا من اغتيال فرانز فرديناند. بحلول ذلك الوقت كان الدبلوماسيون الأوروبيون قد استسلموا لفكرة غيابه، كما استسلمت الشعوب الأوروبية لخسارته. لم يتضمن الإنذار أي مطالب يمكن للحكومة الصربية التهرب منها بسهولة أو تجاهلها دون الإفلات من العقاب. فكَّر عدد قليل من أعضاء حكومة رئيس الوزراء نيكولا بوسيتش في قبول الإنذار النمساوي دون اعتراض، حتى حرَّضهم وزير الخارجية الروسي الكونت سيرجي سازونوف، على التملص من مطلب أو إثنين من المطالب النمساوية.[65]

كان الرد الذي قدمه الصرب أخيرًا للنمساويين في الخامس والعشرين من يوليو واهنًا، كالإنذار الذي قدمه النمساويّون للصرب. بعد الموافقة على ثمانية من المطالب النمساوية العشرة، أعرب المسؤولون الصرب عن أملهم في أن تتغاضى النمسا عن المطلبين الآخرين، واعتبار مذكرتها بمثابة بادرة امتثال. عِندما لاحظت النمسا أن الصرب رفضوا إثنين من مطالبها العشر، تجاهلت المطالب الثمانية الأخرى واعتبرت المذكرة الصربية بمثابة بادرة تحد.

وخلال الأسبوع نفسه بدأت روسيا ما أسمته التعبئة الجزئية، ظنًا منها أنها يمكنها خداع ألمانيا بالتظاهر بالبلاهة، لكن لم ينخدع أحد ولاسيَّما الألمان، وأخذ الجيش الروسي بقصر نظره المصحوب بثقة شديدة يسبح في بحر أوهامه المليء بالانتصارات. في الثالث والعشرين من يوليو، قام ريمون بوانكاريه، رئيس الجمهورية الفرنسية، ووزير خارجيته، رينيه فيفياني، بزيارة رسمية إلى سانت بطرسبرغ واستمرت حتى السادس والعشرين يوليو.[66] وأثناء تواجدهما في بطرسبرغ، كانت النمسا، وكذلك صربيا، تتلقفان شعلة من نار، والتي كان واضحًا أنها ستحرق أحدهما. كان من الواضح أن التبادل بين المسؤولين الفرنسيين والروس ذو أهمية، ولكن لم يُوَثِّقْ التاريخُ الكثيرَ لكي يجعل المؤرخين على ثقة عما كان يدور في اجتماعاتهم الخاصة. لم يُطْلِع بوانكاريه الروس على الكثير في خطاباته العامة، ولكن بعد كل خطاب من خطاباته، كانت السعادة العارمة تظهر عليه. بالإضافة إلى أن فكرة أن لديه الكثير من الحلفاء كانت تعطيه شعورًا بالنشوة.

كان يبدو على فيفياني المرض خلال ما يبدو من جميع النواحي أنَّه "زيارة دولة"، وأدى بعض الالتزامات بينما بدا مريضًا، وتجنَّب البعض الآخرَ بسبب

شحوب لونه. في الواقع، يبدو أنَّه عانى من انهيار عصبي، وشُوْهِدَ وهو يتمتم لنفسه بكلام غير مفهوم.

ياله من نذير شؤمٍ غريب.

على الرغم من كون القيصر الروسي حاكمًا استبداديًا، إلا أنه وجد نفسه غير قادر على مقاومة ازدياد الحماس العسكري، لذا وافق على الإجراءات التي لا يستطيع التحكم بها بعد أن تملقه مستشاروه.

لم يكن في فيينا، ولكن في برلين حيث فُتِحَت النافذة لفترة وجيزة وأغلقت بسرعة. كان القيصر الألماني فيلهلم الثاني معروفًا لدى خصومه بأنه سياسيٌّ متباهٍ لحد عدم مراعاة الحشمة، ولكنه لهذا كان موضع تقدير في بلاطه. تمكن المسؤولون الصرب من الرد على الإنذار النمساوي في غضون ٤٨ ساعة حيث كان الموعد النهائي، واستهلكوا سُبع الوقت للتعبير عن أسفهم على اغتيال فرانز فرديناند حيث عبَّر النمساويون عن سخطهم.

عند قراءة الرد الصربي على النمسا، لم يكن القيصر الألماني هادئًا فحسب، بل كان شديد الإدراك، ورأى في الحال أنه إذا فُهِمَ الرد الصربي بشكل صحيح، فلم يعد هناك سبب للحرب، حيث قُدِمَ للنمسا أكثر شيء أرادت الحصول عليه، وكان ذلك بمثابة استعادة لشرفها. لكن من بين جميع المشاعر السياسية، فإن الإحساس بجرح الكرامة هو الأصعب تهدئة، لذا واجهت ألمانيا مشكلة دبلوماسية تتطلب مهارة كبيرة لإقناع النمساويين بتهدئتهم، لأنّ كرامتهم قد رُدَّ اعتبارها في الظاهر بدلًا من تعريض أنفسهم للخطر. وأدرك الساسة الألمان، بما فيهم القيصر، عبثية دفاع النمسا عن قضية كان الصرب قد تنازلوا عنها، لكن لم يكن لدى أي شخص في وزارة

الخارجية الألمانية الجُرأة أو العزم على إجبار النمساويين على التراجع عن صراع شجَّعه الألمان أنفسهم بلا مبالاة. حتى اللحظة التي أعلنت فيها النمسا الحرب على صربيا، كان هولفيغ يعطي القيصر انطباعًا أنَّ بإمكانه إخماد الأزمةِ التي قام بالكثير من أجل تأجيجها، لكنَّ هولفيغ لم يفعل شيئًا سوى تشجيع قناعات النمساويين، في الوقت نفسه الذي كان يقول فيه للقيصر الألماني أنَّه يحاول ثَنْيَهم عن قراراتهم.

أعلنت النمسا الحرب على صربيا في ٢٨ يوليو ١٩١٤.[67] كان إعلانًا يُنْذِرُ بالخطر لكنه لم يعبِّر عن القوة. وأوضح كونراد بصبر لزملائه أن الجيش النمساوي سيحتاج أسبوعين إضافيين ليجهز نفسه ولن يتمكن من دخول الميدان قبل ١٢ أغسطس. لماذا لم يتجهز مطلقًا خلال الأسابيع الأربع الماضية، لم يسأله زملاؤه عن هذا، ولم يصرح به كونراد. سمح إعلان الحرب النمساوي لصربيا بإجراء تعبئتها الخاصة في هدوء تام تقريبًا، وعندما غزت القوات النمساوية صربيا في وقت لاحق في أغسطس، صُدِمُوا لأن القوات الصربية كانت قد أعدت لهم العدة ومستعدة للدفاع عمّا اعتبره المسؤولون النمساويون دولة إرهابية واعتبره المسؤولون الصرب فداءً الوطن.

مع إعلان النمسا الحربَ، عاد القيصر الألماني أخيرًا إلى رشده واستفاق من أوهامه.

في ٣٠ يوليو، أصدر القيصر الروسي أمرًا بالتعبئة العامة ثم ألغاه ثم أعاد إصداره. طالب المسؤولون الألمان روسيا بالتراجع عن تعبئتها، وبهذا أظهروا أنهم لا يعرفون تمامًا ما الذي كانوا يفعلونه، أو لماذا يفعلونه. أما فرنسا فقد أمرت قواتها الخاصة بالتعبئة العامة في 1 أغسطس ١٩١٤. وأعلنت ألمانيا،

بعد أن تُجُوهِلَ إنذارها النهائي، الحرب على روسيا في نفس اليوم، وأرسلت على الفور قواتها نحو حدودها الغربية ظنًا منها أنها إذا حولتهم لمواجهة أعدائهم سيتشتت انتباههم.[68]

بعد انشغال بريطانيا بالمسألة الأيرلندية طوال ربيع وأوائل صيف عام ١٩١٤، اكتشفت وزارة الخارجية البريطانية في نهاية يوليو وبداية أغسطس أنهم قد يتركون أيرلندا حقًا للإيرلنديين. في بداية شهر أغسطس، أرسل وزير خارجية بريطانيا العظمى، إدوارد جراي، ثلاثَ إشاراتٍ غير منمقة إلى المجتمع الدبلوماسي الأوروبي، وعندما لم يستطع فهمها أحد، صرَّح بأنه نفسه لا يستطيع فهمها أيضًا. أصرَّت بريطانيا على الذهاب إلى الحرب ظاهريًا لحماية حيادية بلجيكا، وهو تعبير لبق عن عدم استعداد البريطانيين لقبول التفوق الألماني.[69]

بدأت أنظمة الدول الأوروبية بالانهيار بشدة. وبحلول أوائل أغسطس من عام ١٩١٤، كانت أوروبا إما مشتعلة أو على وشك الاشتعال.

سبب الحرب

سعى المؤرخون لما يزيد على قرن لاكتشاف أسباب الحرب العالمية الأولى. ما من حدث تاريخي دُرِسَ بهذا الكم من الجهد، ولكن دون فائدة. كانت شرارة الحرب على مرأى ومسمع من الجميع[70]: اغتيال الأرشيدوق فرانز فرديناند وزوجته صوفي، دوقة هوهنبرغ، في سراييفو في ٢٨ يونيو ١٩١٤.

لا يمكن لأحد أن يشك أن الحرب العالمية الأولى كانت مأساة، ولكن لا يمكن لأحدٍ إثبات أنَّ الحربَ العالميةَ الأولى أشعلها ذاك الأرعن البالغ من العمر تسعة عشر عامًا.

أن تقام الحرب لأجل هذا السبب لهو أمر مبالغٌ فيه حقًا.

فلو قِيْلَ أن هذا هو السبب الوحيد، إذًا ماذا عن الظروف التاريخية والقوى التي هَيَّأت لوقوع الحرب؛ اليد الخفية للتاريخ؟ في كتاب تاريخي صغير لكشف الوجه الحقيقي للأخلاق في القرن العشرين، اختصر جوناثان غلوفر سجلًا تاريخيًا، أطال المؤرخون الحديث عنه.[71] لقد قضى الشعور بالعجز على الساسة الأوروبيون، وخاصة وزراء خارجيتهم. لم يكونوا يعلنون عن نواياهم بشكل صريح، ولم يكن من السهل التراجع عن التعبئة بمجرد أن بدأت بها ألمانيا وروسيا. وانطلق سباقُ تَسَلُّحٍ بين بريطانيا العظمى وإمبراطورية ألمانيا.[72] وبعد ذلك أصبحت قائمة غلوفر أكثر عمومية بشكل تدريجي، بحيث شملت القومية، والداروينية الاجتماعية، والشرف الوطني، وأمرًا بسيطًا كحقيقة أنَّ الساسة الأوروبيين، وبينما سيطرت الرهبة عليهم، لم يمر بخاطرهم، ولم يسألوا أنفسهم ما الدافع وراء ما يفعلون.[73]

لا شيء من هذا يُثْبِتُ أنَّ إله الحرب قد رمى نرده الحديدي كما يزعم البعض، وإذا كان قد رمى شيئًا حقًا، فإنه لم يرمِ نردًا حديديًا، بل رمى كرةً من حديد ليحدث كل هذا الدمار في العالم. استمرت أحداث يوليو ١٩١٤ كما كانت، ولكن كيف تسربت العشوائية إلى الشؤون الأوروبية؟ ليس لدى العلم تصنيفات عامة ليُقَدِّمَها للمؤرخ بخلاف العشوائية والحتمية، ولأن أيًّا

منهما ليس له أدنى صلة بالسؤال عن أسباب الحرب العالمية الأولى فليس لهما أي قيمة كذلك في الجواب عن لِمَ بدأت الحرب.

يمكن لسلسلة الأحداث التاريخية السببية أن تكون دقيقة للغاية، لدرجة أنها تغلب أي مفهوم عام للسببية. لقد كان اغتيال فرانز فرديناند جزءًا من سلسلة متعدية، يؤدي فيها شيءٌ إلى شيءٍ آخر؛ لكن مهما كانت السلسلة، فلا يمكن أن تكون ممتدة، وإذا لم يكن من الممكن أن تكون ممتدة، فكيف يمكن أن تكون سببية؟ إذا اعتُبِرَ قتل فرانز فرديناند اغتيالًا سياسيًا، فإنَّ اغتياله سببٌ كافٍ للحرب، ولكن إذا اعتُبِرَ على أنه مُجَرَّد جريمة قتل، فكان ينبغي له أن يسبب القلق لا أكثر.

وسواءً اعتُبِرَ قتلًا أو اغتيالًا سياسيًا، فهما حدثان متطابقان... هكذا هو التاريخ.

الرجال الذين قادوا الحرب العالمية الأولى، أو الذين أدّوا إلى حدوثها، كانوا ينتمون إلى فئة الناس العاديين أو المُتَوَسِّطين، وفي ذلك الوقت، كان هذا التصنيف المفاهيمي مرتبطًا ببدء الأعمال العدائية، ولا يضاهيه أي مفهوم آخر مستمد من نظرية الاحتمالية. درس إدوارد جراي الكلاسيكيات في أكسفورد، ولكن على عكس أسكويث، الذي حصل على الأقل على منحة دراسية في الكلاسيكيات في كلية باليول، كان جراي قادرًا، -بعد أن ترجم ترجمةً طُلِبَت منه من اليونانية واللاتينية- على أن يقدم لنا شيئًا أفضل من نباح الكلب بقليل. لكنَّنا نشكر الله أنَّه تَعَقَّل وأكمل تعليمه في مجال دراسي آخر. [74] كان بيرشتولد مُبْهِرًا، لكنَّه لم يكن مسؤولًا؛ كان يظن أنَّه حتى لو أدت سياساته إلى تدمير الإمبراطورية التي كُلِّفَ بالدفاع عنها، فإنه سيبقى

أرستقراطيًا حتى لو سُحِبَت منه الجنسية النمساوية، كما قال لأحد معارفه. لكن لم يخطر بباله قط أنَّه سيُجَرَّد أيضًا من كونه أرستقراطيًا.[75] كان هولفيغ بطبيعته كئيبًا، وأمضى ربيع وصيف عام ١٩١٤ قَلِقًا بشأن صحة زوجته، ثم حَزِنَ على موتها. لكنَّه كبيرشتولد، يريدُ الظهورَ بمظهرِ المناضل أمام جيشه، ولا يزال معروفًا عنه حتى بعد مرور قرنٍ من الزمن أنَّه كان يريد أن يظهر بمظهر رجولي.[76] اكتسب سيرجي سازونوف نفوذًا بصفته صهر بيوتر ستوليبين، وخلال تدرجه في المناصب للوصول إلى السلطة استطاع أن يحيط نفسه بالقوتين الأكثر أهميةً في التقدم الدبلوماسي، إذْ تمَّ دَفْعُه من أسفل، كما تمَّ سَحْبُه من أعلى. استطاع سازونوف أن يجعل القيصر يُعْيِرُه مسامعه، كما حاز على ثقته، ثُمَّ أخذ عهدًا على نفسه بتنفيذ مهمة صعبة مُتَمَثِّلَةٍ في تعزيز مصالح روسيا في البلقان، وفي الوقت نفسه تهدئة المخاوف النمساوية المجرية بشأن البلقان.

ربما لو أخذ هاتين المُهِمَّتين دبلوماسيٌّ أكثر حنكة لحَقَّقَهُما، ولو أخذهما دبلوماسيٌ أكثر صراحةً لحقق واحدة منهما. أما سازونوف فلم يتمكن من تحقيق أيٍّ منهما.[77]

هناك استعارة تقول: ليس هناك رجل يَبِرُّ بِقَسَمِه، لذا إن كان إله الحرب قد انشغل بإلقاء نرده الحديدي في يوليو ١٩١٤، وأقْسَمَ على إهلاك قومٍ، لم يكن ليَبِر بقسمه. خلاصة القول أن الساسة الأوروبيين هم من تسببوا بهذا الدمار بأنفسهم ولأنفسهم.

أقنع ريتشاردسون عدة أجيالٍ من علماء السياسة بأن موقفه كان علميًا تجاه الحرب. إن البحث الذي عمل عليه كان له ميزة كبيرة للغاية، لأنه شغل

العديد من علماء السياسة بمشروع يتسم بالبراءة، لكن لا صلة له بموضوع الحرب. فهو لم يكتشفْ أيَّ شيءٍ عن بداية وخطورة الحرب.

يذهب الرجال إلى الحرب عندما يعتقدون أنَّ بإمكانهم ارتكابَ الجرائم والإفلاتَ من العقاب.

جرائم عظيمة

إلهي خلِّصْ الأرض من الشرور[78]

رغم فظاعة القرن العشرين، إلّا أن الحروب لم تكن أفظعَ ما فيه، حيث أن الجرائم التي حدثت أثناء الحروب كانت أسوأ بكثير.

قام كارل شلوجل في كتاباته عن الإرهاب العظيم بتوثيق التالي: "في عامٍ واحد اعْتُقِلَ ما يَقْرُبُ من مليوني شخص، وقُتِلَ ما يقرب من ٧٠٠٠٠٠ شخص، وتم ترحيل ما يَقْرُبُ من ١.٣ مليون إلى المعسكرات والمستعمرات العُمّالية."[79] أوضح شلوجل أن ما يجعل الإرهاب العظيم فظيعًا "ليس فقط عدد ضحاياه"، بل طموحات الدول التي قامت بإبادتهم. كان هدفُ الإرهاب العظيم تقليصَ سُدْسَ سكان العالم ليصير العالم دولة صغيرة تعج بالسكان المصابين بالهستيريا. وقد نجح في تحقيق هذا أيَّما نجاح. كانت الأيديولوجية النازية تتمحور حول الإبادة، كما كانت الحضارة الستالينية تتمحور حول الإرهاب. من بين كل الحقائق الرهيبة التي قد نعرفها عن الأزمنة التي عاصرناها، كانت هذه هي أفظع الحقائق: في القرن العشرين، عُدَّ القتل والإرهاب الأساس الذي يؤدي إلى استقرار النظم السياسية؛ ولم تستطع

هيئة ذات أيديولوجية مُسْتَمَدَّة من التنوير الإنساني، أو من عقيدة دينية إيقاف تطور الحرب للحظة.[80]

جُرِّبَتْ كلُ السبل
لإيقاف أذىً كالجبل
لكن المراد لم يَنل
فكان كل ما حصل
وأُوصِدَت أبوابٌ بالقفل
لحفظِ عاداتٍ ثِقَل
وفي خضمِ الأحداث
هَبَّت جيوش بالرصاص
ففزع من أمن على سريره
بمرور أطيافٍ شريرة [81]

بحلول عام ١٩٤٥، كان التاريخ الألماني قد رسم طريقه.[82] أما الاتحاد السوفيتي فقد صار وحيدًا، محطمًا، وغير مرغوب، و دخل في غياهب النسيان عامَ ١٩٨٩. وحقيقة الأمر أنَّ الدولتان الألمانية والسوفيتية اختفتا من على وجه الأرض فقط لأنهما أبادتا بعضهما البعض.

تعليقًا على جرائم الحرب ماذا يمكن أن يُقَالَ أكثر مما قاله إلياس كانيتي: "إنه من الحشمة الإنسانية أن يشعر المرء بالخزي لعيشه في القرن العشرين".[83]

ما منا من أحدٍ مستعد لِتَقبُّل الرأي القائل بأن الجرائم الكبرى في القرن العشرين لم تكن- بكل ما فيها من وحشية - سيئة للغاية. لأن هذه تبدو وجهة

نظر سخيفة.[84] لكن بينكر كان يدافع عن وجهة النظر هذه، حيث يرى أن جرائم القرن العشرين لم تكن الأفظع، بل كان هناك ما هو أفظع منها. في كتابه *الوجه الملائكي لطبيعتنا البشرية*، يقدم بينكر قائمة بأسوأ الفظائع في تاريخ البشرية. كان مصدره في هذه القائمة هو ماثيو وايت، الذي كان يعمل كأمين مكتبة، وكان مهووسًا بدراسة الأعمال الوحشية، وموهوبًا بترويج أفكاره.[85] من بين مساهماته البارزة، منشور نشره بنفسه بعنوان "تعليمات المُتَحَذْلِقِ للحياة" وكان قد عَنْوَن لكتابه المميز والذي تضمن هذا المنشور *بالكتاب الكبير العظيم الذي يجمع الأشياء المُرَوِّعَة*، ويُعَدُّ هذا الكتاب مرجعًا للكوارث، وقد أخطأ في أنه لم يضع عنوان كتابه مع جملة الأشياء المُرَوِّعَة. وبنى وايت استنتاجاته على مسح دؤوب لمصادر ثانوية كلٌّ منها يستشهد بالأخرى.

يرى وايت أن أعظم الأعمال الوحشية هي ثورة آن لوشان في الصين في القرن الثامن فقد راح ضحيتها خمسة وثلاثون مليون صيني فقدوا حياتهم. وهذا الرقم مذكور في الأساس على موقع وايت على الإنترنت، ولكن بعد تفكير جدي، عَدَّل وايت الرقم من خمسة وثلاثين إلى ثلاثة عشر مليونًا، أي أقل بما يقرب من ثلاثة أضعاف. ربما كان هذا سيوحي لِعَالِمٍ أكثر دقة من بينكر أنَّ وايت كان يزيف الحقيقة.

بصرف النظر عن أين تَكْمُن الحقيقة، فلا شك أن هذه الأوقات كانت مريرة.

تفنى الأرض، وتفنى السماء، في آخر الزمان. لكن الحزن والأسى لا يفنيان.[86]

حُجّةٌ واهية

هناك الآن إحصائيّتان مطروحتان : (ق١/س١) و (ق٢/س٢). ولدينا الصيغة الجبرية الآتية:

إذا كانت ق١/س١ ≈ ق٢/س٢ وكانت β(س١) = س٢، فإن ق٢ = β(ق١)

وفقًا لقانون الكسور، هذا التضمين ليس له محتوى تجريبي بخلاف الأكثر عمومية. ومن المعلوم أنْ لا أهمية له.

افترض أن س٢ = β(س١)، وأنَّ ق١/س١ ≈ ق٢/س٢، سيكون معدل القتل المتوقع ع(ق٢) في س٢ هو ع(ق٢) = β(ق١)

الانتقال من ق١/س١≈ ق٢/س٢ و س٢ = β(س١) إلى ع(ق٢) هو مثالٌ على ما أسماه علماء الجريمة *تقدير القتلى*. ولكن لا يمكن تأكيده، لأنه لم يخضعْ أبدًا لملاحظة كافية، فلم يُؤَكِّدْ أحدٌ أبدًا أنَّ تقدير القتلى يجسد تَنَبُّؤًا تجريبيًا، ففي النهاية، هو مجرد مقياس لعدد جرائم القتل المُتَوَقَّع.

قُتِلَ ستة ملايين يهوديًا في محرقة اليهود (الهولوكوست)؛ وأيًّا كان سبب المحرقة أو الداعي إليها، فهي تجسيد لجريمة القتل. كان عدد سكان العالم عام ١٩٤٠ يعادل ٢ مليار تقريبًا، أمّا عدد سكان العالم في عام ١٣٠٠ كان مائة مليون تقريبًا.

فيما يلي سنعرض لكم حجة واهية.

1- ق١/س١ ≈ ق٢/س٢

2- β(س١) = س٢

كلٌّ من ١ و٢ تشيران إلى مزاعم غير محددة ولكنها مزاعم تجريبية، وربما تكونان خاطئَتَين.

أما ٣، فطِبْقًا لحسابات تقدير القتلى ستكون:

3- ξ(ق٢) = β(ق١).

أما ٤، فباتِّباع النقطة ١:

4- ٦.٠٠٠٠٠٠٠/٢.٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ≈ ق٢/١٠٠٠٠٠٠٠٠٠

وعندئذٍ

5- ق٢=٣٠٠٠٠٠٠.

إذا كانت محرقة اليهود حدثت عام ١٣٠٠، فقد كانت ستحصد ٣٠٠٠٠٠٠ من الأرواح.

وربما يَحْتَجُّ البعضُ ويقولون أنَّ محرقة اليهود إذا كانت حدثت عام ١٣٠٠ فإنَّ

6- ق٢= ٦.٠٠٠٠٠٠٠

على أساس أن مذبحة ٣٠٠٠٠٠٠ يهودي في عام ١٣٠٠، بغض النظر عما يمكن أن تكون عليه، ما كانت لتكون محرقة اليهود.

وهذا يجعل النقطتان 1 و 5 متعارضتان.

سواءً كانت ق٢ = ٦.٠٠٠٠٠٠٠ أو ق٢ = ٣٠٠٠٠٠٠، لا يمكن الجزم أيُّهما أصح؛ لأن تقدير القتلى في جوهره غير ثابت.

عندما قام بينكر بتقييم ثورة آن لوشان، قَبِلَ أن يكون عدد القتلى ٣٦ مليون قتيلٍ. يرى بينكر أن ٣٦ مليونًا في القرن الثامن يُكافئون ٤٢٩ مليونًا في

منتصف القرن العشرين. لا عَجَبَ أنه كان مُقْتَنِعًا أنَّ ثورة آن لوشان تستطيع أن ترفع رأسها عاليا أمام فظائع القرن العشرين.[87]

الحسابات مباشرة.

7- ق١/و١ ≈ ق٢/و٢

حيث تشير ق١ لعدد القتلى في ثورة آن لوشان وتشير ق٢ لعدد القتلى المُتَوَقَّع إذا وقعت ثورة آن لوشان في منتصف القرن العشرين. في حين تشير و١ و و٢ إلى إجمالي السكان في القرنين الثامن ومنتصف القرن العشرين.

عندما قام بينكر باتِّباع وايت اتباعًا أعمى أفترض أنَّ

8- ق١/و١ = ٦/١

عندئذٍ يصبح لدينا

9- ق٢=٤٢٩.٠٠٠٠٠٠٠

طِبْقًا لتقدير القتلى.

وهناك حجة مشابهة للسابقة وهي مستحيلة مثلها.

إذا كانت

10- ق١/و١ ≈ ق٢/و٢

كما في الحجة الأولى، ولكن و١ هنا تشير إلى سكان إمبراطورية تانغ فقط، لا إلى مجموع سكان العالم في القرن الثامن بعد الميلاد.

11- ق١/و١=٣/٢

وعندئذٍ

12- ق٢ ≈ ١,٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠

أو ما يَقْرَبُ من ١,٣ مليار من القتلى، وفقًا لتقدير القتلى، وهو رقم يعطي معنىً غير مقصود تمامًا لعبارة الأعمال الوحشية الجماعية.

كان سيكون من المعقول حساب ضحايا الإبادة الجماعية مع اعتبار سكان العالم فئةً مرجعية في حالة وجود طريقة معقولة لتقدير القتلى. ولكن ليس هناك طريقة كهذه.

قام بينكر بعملية تقدير القتلى عبر الانتقال من النقطة 8 إلى النقطة 9.

لكنَّه لم يفعل ذلك عبر الانتقال من النقطة إلى النقطة 12.

لم هذا؟

إنَّ عملية تقدير القتلى غير مُسْتَقِرَّة، لأنها غير واقعية. صحيح أن ثورة آن لوشان أسفرت عن مقتل ٣٥ مليون شخص، أو قد يكون هذا صحيحًا؛ أمَّا أنَّ ثورة آن لوشان كانت ستحصد أرواح 429 مليونًا من البشر لو وقعت في القرن العشرين، فهذا غير صحيح. محرقة اليهود، وتجارة العبيد في المحيط الاطلسي، وثورة آن لوشان ليسوا بوزونات. لذا لا يمكن تقديرهم أو إسقاطهم على الماضي أو المستقبل. لقد حدثوا كما حدثوا. لكن دون تقدير القتلى فليس لدينا سوى ما نعرف فقط من حقائق تاريخية. أودت ثورة آن لوشان أو ربما كانت ستودي بحياة ٣٥ مليون صيني، أما محرقة اليهود فقد أودت بالتأكيد بحياة ستة مليون يهودي.

كلاهما كان فظيعًا.

يتطلب تنسيق الجرائم على مر القرون إلى أخذ الفئة بعين الاعتبار. كتب بينكر: "عند عَقْدِ المقارنات عبر نطاقات واسعة من الأزمان والأماكن (مثل

المقارنة بين الأعمال الوحشية في القرن العشرين مع تلك التي في القرون التي تسبقه) عادةً ما أستخدم سكان العالم أجمع كفئة مرجعيّة."[88]

هذا الرأي عقلاني لكنه ليس معقولًا.[89] فلم تحدث محرقة اليهود في أمريكا اللاتينية، وأيُّ محاولةٍ لتقليص فظاعتها عبر زيادة فئتها المرجعية بضم ملايين الأمريكيين اللاتينيين، أيُّ محاولةٍ من هذا القبيل ستعطي إحساسًا كاذبًا بأنَّ المخاطر في القرن العشرين كانت عشوائية.[90]

سيَتْبَعُ هذا الخطأَ خطأٌ مُلازِم له، وهذا الخطأُ الآخرُ أقرب ما يكون إلى المغالطة الصريحة، إذ أكَّد بينكر أنه:

> "إذا ازداد عدد السكان، فمن الطبيعي أن يزداد عدد القتلى المُحْتَمَلين، وكذا عدد الطغاة، والمُغْتَصِبين، والساديين. فإذا بقي عدد ضحايا العنف ثابتًا، أو حتى إذا ازداد، بينما قلَّت نسبة المُعَنَّفين، فلا بُدَّ أن أمرًا مُهِمًّا قد تغيَّر مما سمح لكل هؤلاء الأشخاص الإضافيين ليعيشوا بلا عنف."[91]

كلا، ليس شيءٌ من هذا ينطبق على جرائم القتل، أو على الأعمال الوحشية. فما هذه إلا افتراضات عكسية. السؤال الصحيح هو ما الذي تغير ليجعل نازيَّ ألمانيا، أو ستالين روسيا، أو ماو الصين، أو بول بوت كمبوديا، ما الذي جعلهم يقومون بكل تلك الجرائم التي هي الأولى من نوعها ولم تشهدها تلكم البلدان قبلًا؟

إذا كان السؤال واضحًا فكذا ينبغي أن يكون الجواب؛

لكن ليس لدينا أيَّ فكرة.

بحر من الدماء

عند التفكير في القرن العشرين، يتسم علماء الجريمة المعاصرون بهدوء الأعصاب والتفاؤل الذي يتنافى نوعًا ما وتفاصيل الأحداث المتعلقة بمهنتهم.

يا إلهي، لقد كان من الآمن المشي في شوارع لندن عام ١٩٥٠.

فعلًا، فإذا وقع الاختيار عشوائيًا على أحد سكان لندن سنجد أن احتمالية هلاكه جَرَّاءَ ما يستهلكه من طعام محلي الصنع أكبر في الحقيقة من احتمالية هلاكه على يد السفاحين الإنجليز. ولو كان الامر بيده لفضلَّ الهلاك بالطريقة الثانية. أما إيسنر فيقول: "سَجَّلت لندن عام ١٩٥٠ أدنى مستوىً للعنف المُؤَدِّي للموت بين الأفراد حتى الآن في المجتمع الغربي."[92]

على رسلك يا إيسنر فعبارة "العنف المُؤَدِّي للموت بين الأفراد" هذه لا تعدو فائدتها فائدةَ ما لو قلت: "صوفٌ قطنيٌ" دون إعطاء تعريف واضحٍ له.

والذي كان يعتقده إيسنر بناءً على ملاحظته هو عدم وجود الكثير من جرائم القتل في لندن لفترة من الزمان: فقد كان معدل جرائم القتل ١ لكل ١٠٠٠٠٠٠.

ومن هنا ندرك من أين لعلماء الجريمة شعورهم بالتفاؤل ذاك.

صحيح أن معدلات جرائم القتل في جميع أنحاء أوروبا والولايات المتحدة قد ازدادت بطريقة مخزية منذ الستينات؛ ذلك لأن عملية الحضارة الرائعة قد التقت بتوأمها؛ عملية القضاء على الحضارة، وعلى أيةِ حال، فمعدل جرائم القتل المنخفض في لندن يُظْهِرُ لنا لأي مدى يمكن أن ينخفض معدل القتل حقًا.

بالفعل يمكن أن يقل معدل جرائم القتل. وهذا سبب يدعو للتفاؤل أيضًا. وفقًا للفرضية التي تقول أن معدل جرائم القتل يُعَدُّ مؤشرًا نستطيع به قياس درجة العنف في فترة زمنية محددة، فعلماء الجريمة معذورون لعيشهم الوهم.

لن يجد مؤرخو القرن العشرين تفسيرًا للقتل العنيف المؤدي للموت بين الأفراد في أماكن أخرى من أوروبا قبل سنوات قليلة. فقط من وجهة نظر إيسنر المتفائلة فإن انخفاض معدلات جرائم القتل لمدة طويلة يعطي المرء أملًا أن معدلات جرائم القتل ستكون بالتقريب ق/س ≈ ١/١٠٠٠٠٠.

في كييف، أمستردام، ويستيربورك، سالونيك، تريبلينكا، مايدانيك، خيلمنو، سوبيبور، كراكوف، لاتشوا، زازلاو، بوتوليس، سولداو، ستوتهوف، لوبلين، كيليس، ويلنو، بدزين، بياليستوك، نوفوغروديك، بوناري، أو وارسو، تظهر صورة أخرى، صورة فيها معدلات جرائم القتل تقترب من 1. [أغلب الأسماء المذكورة هي أسماء لمدن أقام فيها النازيّون معسكرات اعتقال].

أثناء الاحتلال الألماني لفرنسا، أرسلت الشرطة الفرنسية ما يقرب من ٥٠٠٠٠ يهوديًا من باريس إلى مَصْارِعِهِم.[93] ولا يزال تاريخ السياسة الفرنسية يذكر La Rafle، ولم تكن تلك سوى واحدةً من جرائم عدة. كان عدد سكان باريس عام ١٩٤٠ س ≈ ١٠٠٠٠٠٠ وكان معدل جرائم القتل ق/س ≈ ١٠٠,٠٠٠/١,٢٥٠ سنويًا.[94] وطبعًا يُسْتَثْنى من هذه النسبة جرائم القتل العارضة مثل أن يقتل رجل مخمور زوجته المزعجة لإسكاتها.

إنَّ معدلات جرائم القتل المُفْتَرَضَة في أكسفورد عام ١٣٤٣ كانت ١٢١/١٠٠٠٠٠٠. أما في منتصف القرن العشرين، القرن المُتَحَسِّن أخلاقيًّا، كانت معدلات جرائم القتل في باريس عشر أضعاف معَّدلات جرائم القتل في منتصف القرن ال١٤. أما في المجتمع اليهودي في باريس، فكانت معدلات القتل للذين لا يحملون الجنسية الفرنسية أسوأ من ذلك بكثير.

كان عدد سكان أوروبا من اليهود عام ١٩٣٩ تسعة ملايين نسمة تقريبًا. تقلَّص هذا العدد إلى ثلاثة ملايين مما يجعل معدلات جرائم القتل ق/س ≈ ٦٦.٠٠٠/١٠٠٠٠٠٠، أو ١٤.٠٠٠/١٠٠٠٠٠٠ لكل سنةً من السنوات الأربع بين عام ١٩٤١ وعام ١٩٤٥.

وهذا يُعَد أقل من معدل جرائم القتل في مدن أخرى، لكنه أعلى بكثير من إجمالي معدل جرائم القتل في أوروبا بأكملها؛ بل إن إجمالي معدل القتل في أوروبا نفسها أعلى منه فيها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

إذًا ماذا عن لاتشوا؟ زازلاو؟ بوتوليس؟ سولداو؟ ستوتهوف؟ سالونيك؟ أمستردام؟ أو بودابست؟ وهي مدن أو قرى تقترب فيها معدلات جرائم القتل من ١ عند حسابها بناءً على أعداد اليهود في هذه المُدن.

والسؤال الآن: ألا ينبغي أن يُضَمَّنَ قتلى هذه المدن في أرقام الجرائم في أوروبا؟

ألم يموتوا؟
ألم يُقْتَلُوا؟

يعلم علماء الجريمة علمًا يقينيًا أن هذه الجرائم حدثت في القرن العشرين. لكنَّهم ببساطة يَغُضّون الطَّرْفَ عنها، ويميلون إلى تجاهلها في

حساباتهم. القتل شيء، والإبادة الجماعية شيءٌ آخر. وعلماء الجريمة يركزون على الأول، ويتغافلون عن الثاني، وهذه التفرقة مُتَعَمَّدَةٌ.[95] القتل جريمة، والإبادة الجماعية جريمة جماعية. إذا تم الاعتراف بإحصاءات القتل الجماعي في القرن العشرين فإن هذا سيشكل ارتفاعًا مُرَوِّعًا لا يمكن القضاء عليه في إحصاءات القتل -سيكون شيئًا شبيهًا بدالّة ديراك(*)- في السجل البشري الممل لجرائم القتل التي ارتُكِبَت في غرفة فندق قذرة، أو في زقاق صغير خلف بانهوف، أو في حقل قمحٍ شتويٍّ.

إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلاَ رَفْعٌ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا[96]

تظهَرُ الآن مُعْضِلَةٌ مُدَمِّرة. إذا لم يتم ضم جرائم القتل الجماعي في معدل جرائم القتل في القرن العشرين، فإن معدل جرائم القتل ليس مقياسًا يمكن الاعتماد عليه لمعرفة نسبة العنف في هذا القرن؛ وإذا ضُمَّت، فإنَّ معدل جرائم القتل لا يشير إلى وجود انخفاض للعنف لفترة طويلة من الزمن. بل إنَّه يُشير إلى العكس من ذلك.

مهما كان انقسام المجتمع الأكاديمي، فالكل مُجْمِعٌ على أن فظاعة القرن العشرين ستبقى خالدة ولن يطويها نسيان. لاحظت حنّة آرنت: "إنَّ أيَّ فعلٍ يقوم به الإنسان، ولو لمرة واحدة، وسَجَّلَه التاريخ، فإن تكرار هذا الفعل ممكن بالرغم من أنَّ الفعل أصبح من جملة الماضي، هذا من طبيعة الأشياء البشرية."[97] وبغض النظر عن مدى قِدَم هذا الفعل، فإن الجرائم الكبرى لديها قوة حية للتأثير في المستقبل لا تردعها العقوبات المفروضة أو العادات.[98]

وكتبت آرنت: "ليس هناك عقاب له قوة ردع كافية لمنع ارتكاب الجرائم." على العكس من ذلك، "مهما كانت العقوبة، فإنه بمجرد وقوع جريمة لأول مرة، فإن احتمالية تكرر ظهورها أكبر من احتمالية ظهورها ابتداءً."[99]

ومن هذا المنطلق، فإنَّ القرن العشرين قَدَّم للتاريخ الإنساني جرائم لم تكن لتخطر على بال، ولو خطرت، فإنَّها لم تحدث من قبل، لذا فإن ما حدث في القرن العشرين خالدٌ، وسيظلُّ، كصلب المسيح، جزءًا لا ينفصل عن حاضر البشرية.

إنَّ القرن العشرين يشكل ندبةً في تاريخ البشرية، ندبةٌ سوداء، بغيضة، لا يمكن إزالتها، كما لا يمكن تفسيرها.

تعريف لبعض المصطلحات:

(*) **تفسير الويج للتاريخ Whig interpretation of history** : تاريخ الويج: هو نهج للتأريخ، ينظر للماضي على أنه تطور حتمي نحو مزيد من الحرية والتنوير.

(*) **عهد الأنطونيين:** السلالة النيرفية الأنطونية هي سلالة من ستة أباطرة رومان، حكموا الإمبراطورية الرومانية على مدى ما يقرب من القرن الثاني (96—192).

(*) **القفزة العظيمة للأمام:** كانت حملة اقتصادية واجتماعية قام بها الحزب الشيوعي الصيني.

(*) **عملية كوكس:** في نظرية الاحتمالات، فإن عملية كوكس، والمعروفة أيضًا باسم عملية بواسون العشوائية المزدوجة وهي عبارة عن تعميم لعملية بواسون بحيث تختلف الشدة عبر الفضاء الرياضي الأساسي (غالبًا ما يكون المكان أو الوقت) وهي نفسها عملية عشوائية.

(*) **بوزونات:** البوزونات هي الحقول التي تحمل الطاقة وهي موجودة في كل مكان حتى في الفراغ لذلك يمكن تسميتها عربيًا بحاملات الطاقة وهي التي تحمل الطاقات الكونية الأربع: القوة النووية القوية والقوة النووية الضعيفة والكهرومغناطيسية وقوة الجاذبية. يمكن للبوزونات أن تشكّل حالاتٍ كموميّة مركّبة مُتناظرة كلّيًّا، ونتيجة لذلك، فهي تخضع لإحصاء بوز-آينشتاين.

(*) **إحصاء بوز-آينشتاين:** هي نظم لتوزيع الجسيمات الأولية في الإحصاء الكمومي.

(*) **دالّة ديراك:** دالّة رياضية، قيمتها تساوي صفر عند أيِّ لحظةٍ من الزمن، باستثناء لحظةٍ واحدة، فإنَّ قيمتها عندها تكون مالانهاية.

- *ما بين هذين القوسين [] فهو إضافة من المحرر.*

الهوامش

1. Paulus Orosius, *Seven Books Against the Pagans* (Liverpool: Liverpool University Press, 2010).
2. If the twentieth century seems short, the nineteenth century seems long. See David Blackbourn, *The Long Nineteenth Century* (Oxford: Oxford University Press, 1997).
3. Anna Akhmatova, *Plantain*; quoted in Bernard Wasserstein, *Barbarism and Civilization* (Oxford: Oxford University Press, 2007), 793.
4. Milton Leitenberg, *Deaths in Wars and Conflicts in the 20th Century* (Cornell University Peace Study Program, Occasional Papers, No. 29, 2003).
5. A. J. P. Taylor, The Struggle for Mastery in Europe: 1848-1914 (Oxford: Oxford University Press, 1954), 255.
6. Stefan Zweig is an example. See Stefan Zweig, Die Welt von Gestern (Leck: Claussen & Bosse, 1992); Jean-Michel Palmier, Weimar in Exile: The Antifascist Emigration in Europe and America (London: Verso, 2006). The destruction of German culture—how does that figure in an assessment of twentieth century violence and according to what metric?
7. Thomas Macaulay, "A Review of Southey's Colloquies," Edinburgh Review, 1830, reprinted in the Norton Anthology of English Literature (New York: W.H. Norton & Company, 1962), 1,620–25. ↩
8. Herbert Butterfield, The Whig Interpretation of History (London: G. Bell and Sons, 1931), 12. ↩
9. Herbert Butterfield, The Whig Interpretation of History (London: G. Bell and Sons, 1931), 13. See Adrian Wilson and Timothy Ashplant, "Whig History and Present-Centered History," The Historical Journal 31, No. 1 (1988): 1–16; and William Cronon, "Two Cheers for the Whig Interpretation of History," Perspectives on History 50, no. 6 (2012): 5. The Whig historians comprise a group that, according to Michael Bentley, includes William Stubbs, James Froude, Edward Freeman, John Richard Green, William Lecky, Lord John Dalberg-Acton, John Seeley, Samuel Gardiner, Charles Firth, George Macaulay Trevelyan, and John Bagnell Bury. See Michael Bentley, Modern Historiography: An Introduction (London: Routledge, 1999), 64–65.

10. حسب اعتقاد شائع: كانت فترة التاريخ الأوروبي المعروفة باسم العصور الوسطى أو فترة العصور الوسطى (تقريبًا 450-1450 سنة) فترة من البربرية والجهل والخرافات. وغالبًا ما يُطْلَقُ عليها لقب "العصور المظلمة"؛ أما بالنسبة للأمراض التي هددت معرفة القراءة والكتابة، والتعلم، وخاصة العلم خلال العصور الوسطى، فغالبًا ما يتم إلقاء اللوم على الكنيسة المسيحية في ذلك، التي يُزْعَمُ أنَّها وضعت السلطة الدينية فوق الخبرة الشخصية والنشاط العقلاني،

وبالتالي القضاء على الشرارات الخافتة للإبداع العلمي وغيره من أشكال الإبداع الفكري التي نجت من الغزوات البربرية في العصور القديمة المتأخرة.

David Lindberg, "The Medieval Church Encounters the Classical Tradition: Saint Augustine, Roger Bacon, and the Handmaiden Metaphor," in When Science and Christianity Meet, ed. David Lindberg and Ronald Numbers (Chicago: University of Chicago Press, 2003), 7.

11. Steven Pinker, The Better Angels of Our Nature (London: Penguin Books, 2011), xix. Pinker's book contains a great many secondary theses about animal and women's rights, child rearing, bullying, slavery, torture, and psychology; they are fatuous without in any way being interesting.

12. Timothy Snyder is an example. A fine historian, Snyder suspects that something is wrong. He is unable to say what it is. Timothy Snyder, "War No More: Why the World Has Become More Peaceful," *Foreign Affairs*, January/February, 2012.

13. Steven Pinker, The Better Angels of Our Nature (London: Penguin Books, 2011), xx–xxi.

14. Steven Pinker, The Better Angels of Our Nature (London: Penguin Books, 2011), 228–347.

15. Both Guy de Maupassant and Leonardo Sciascia are uncommonly adept at depicting an atmosphere of suggested or implicit violence. Maupassant's Histoire Corse is a brilliant example; so is Sciascia's The Day of the Owl.

16. Gerd Schwerhoff, "Criminalized Violence and the Process of Civilization: A Reappraisal," in *Crime, History & Societies* 6, no. 2 (2002): 103.

17. The website of Germany's *Bundeskriminalamt*. Great pains have been taken to make it comprehensive, user-friendly, entirely unthreatening, and so, faintly comical.

18. Karl Schlögel, Moscow 1937, trans. Rodney Livingstone (Cambridge: Polity, 2012) answers every question about the great terror except why it occurred.

19. David Shearer, "Crime and social disorder in Stalin's Russia: A reassessment of the Great Retreat and the origins of mass repression," *Cahiers du monde russe : Russie, Empire russe, Union soviétique, États indépendants Année 1998* 39, No. 1 (1998): 119–48.

في تقريره لعام 1936 إلى Sovnarkom، تفاخر Genrikh Iagoda، رئيس NKVD، "أنَّ عدد جرائم القتل في كل الاتحاد السوفيتي في عام 1935 أقل من تلك الحاصلة في مدينة شيكاغو لوحدها".

تم الاستشهاد بتقرير Iagoda في كتاب David Shearer، "الاضطراب الاجتماعي، والقمع الجماعي، و NKVD خلال الثلاثينيات"، Cahiers du monde russe: La police politique en Union soviétique، 1918-1953. إذا كان هذا صحيحًا - من يدري؟ - فهل يتبع ذلك أن موسكو كانت أقل عنفًا من شيكاغو؟

في مذكرته، "إحصائيات القمع السوفياتي: بعض التعليقات" (دراسات أوروبا وآسيا، المجلد. 54، العدد 7، 2002، 1151-1172) يلاحظ مايكل إلمان أنه في 1937-1938، أطلقت NKVD النار على 850.000 ضحية. بموجب المادة 58 سيئة السمعة من قانون العقوبات؛ ويُقَدِّرُ إلمان العدد الفعلي للوفيات في الاحتجاز بـ 200000، لكن العدد الفعلي للوفيات

الزائدة غير المنصوص عليها في المادة 58 هو 5000. تقدم النسبة من مليون إلى خمسة آلاف فكرة عن الأهمية النسبية للجريمة العادية في المخطط السوفيتي للأشياء في منتصف الثلاثينيات.

20. Fahui Wang and Van O'Brien, "Constructing Geographic Areas for Analysis of Homicide in Small Populations: Testing Herding-Culture-of-Honor Proposition," in Geographic Information Systems and Crime Analysis, ed. Fahui Wang (Hershey, PA: Idea Group Publishing, 2005), 84–101.

21. Quoted in Fahui Wang and Van O'Brien, "Constructing Geographic Areas for Analysis of Homicide in Small Populations: Testing Herding-Culture-of-Honor Proposition," in Geographic Information Systems and Crime Analysis, ed. Fahui Wang (Hershey, PA: Idea Group Publishing, 2005), 84–101.

22. Hans Reichenbach, The Theory of Probability (Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1949), 374.

23. Steven Pinker, The Better Angels of Our Nature (London: Penguin Books, 2011), 83.

24. Steven Pinker, The Better Angels of Our Nature (London: Penguin Books, 2011), 85. Pinker is writing about the Christian middle ages, a period not ordinarily known for its sexual exuberance. "[I]t is part of the essence of humans to be ashamed of their nakedness," Hans-Peter Dürr observes quite correctly, "however this nakedness may be defined historically." Hans-Peter Dürr, Nacktheit und Scham (Frankfurt: Suhrkamp, 1988), 12. See also Oliver König, Nacktheit und Moral, Zur sozialen Normierung der Nacktheit (Wiesbaden: Herbst, 1990).

25. No forks? Really? See Pasquale Marchese, L'invenzione della forchetta (Soveria Mannelli: Rubbettino, 1989).

26. Lawrence Stone, "Interpersonal Violence in English Society 1300–1980," *Past & Present*, 101 (1983): 22–33. Lawrence Stone, *The Past and the Present Revisited* (London: Routledge, 1987)

تحتوي هذه المصادر على ملاحظات ستون على هذه المواضيع، العديد من هذه الملاحظات متعارض، وأغلبها مُبْتَذل.

انظر أيضًا جيمس شارب، "تاريخ العنف في إنجلترا: بعض الملاحظات"، الماضي والحاضر 108 (1986): 206-15. بالنسبة إلى ستون، ينسب شارب الفضل إلى الأطروحة القائلة بأن "التغييرات العميقة في المجتمع تتم الإشارة إليها من خلال الاختلافات في معدل جرائم القتل" (206). كون هذه الاختلافات في معدل جرائم القتل تُمَثِّلُ تغييرًا في المجتمع، فهذا أمرٌ صحيحٌ تمامًا. لكن كون هذه الاختلافات في معدل جرائم القتل تمثل شيئًا أعمق منها، فهذا ليس صحيحًا على الإطلاق.

انظر أيضًا:

J. S. Cockburn ,"Patterns of Violence in English Society: Homicide in Kent 1560–1985", Past & Present 130 (1991): 70–106.

في كتاب لورنس ستون، إعادة النظر في الماضي والحاضر (لندن: روتليدج، 1987)، 82، يلاحظ ستون أنَّه "لم يعد بإمكان المؤرخين الإفلات من قول "أكثر"، "أقل"، "نمو"، "تراجع"، وكلها تشير منطقيًا إلى مقارنات عددية، دون أن يذكر صراحة الأساس الإحصائي لتأكيداتهم". بالتأكيد يمكنهم ذلك.

27. For an historian such as Lawrence Stone to regard with satisfaction a decline in homicide within the context of the twentieth century rather suggests a physician remarking to a patient suffering from a terminal disease that at least his impetigo is improved.

28. Ted Gurr, "Historical Trends in Violent Crime: A Critical Review of the Evidence," in Crime and Justice, Volume 3: An Annual Review of Research, eds. Michael Tonry and Norval Morris (Chicago: University of Chicago Press, 1981), 295–353.

29. James Given, Society and Homicide in Thirteenth-Century England (Redwood City: Stanford University Press, 1977).

30. Carl Hammer, "Patterns of Homicide in a Medieval University Town: Fourteenth-Century Oxford," Past and Present 78, No. 1 (1978), 3–23.

31. Ted Gurr, "Historical Trends in Violent Crime: A Critical Review of the Evidence," in Crime and Justice, Volume 3: An Annual Review of Research, eds. Michael Tonry and Norval Morris (Chicago: University of Chicago Press, 1981), 295.

32. Ted Gurr, "Historical Trends in Violent Crime: A Critical Review of the Evidence," in Crime and Justice, Volume 3: An Annual Review of Research, eds. Michael Tonry and Norval Morris (Chicago: University of Chicago Press, 1981), 313.

33. Manuel Eisner, "Long-Term Historical Trends in Violent Crime," Crime and Justice 30 (2003): 83–142. In a more recent paper entitled "From Swords to Words: Does Macro-Level Change in Self-Control Predict Long-Term Variations in Levels of Homicide?" Crime and Justice 43 (2014): 65–134, Eisner offered an endorsement of Norbert Elias' theory that variations in homicide rates are tied to improvement in self-control. In his favor, I should add that his endorsement is hardly a masterpiece of enthusiasm.

34. Carl Hammer, "Patterns of Homicide in a Medieval University Town: Fourteenth-Century Oxford," Past and Present 78, No. 1 (1978), 7; see also n. 3.

35. Michael Shermer is an example. Called upon to review The Better Angels of Our Nature in the American Scholar (Autumn, 2011), he thought to entitled his review, "Getting Better all the Time." Were Pinker to assert that San Pedro Sula now embodied the lowest homicide rate in the western hemisphere, when, in fact, the reverse is true, Shermer would at once commence to acquire conversational Spanish. ↩

36. Carl Hammer, "Patterns of Homicide in a Medieval University Town: Fourteenth-Century Oxford," Past and Present 78, No. 1 (1978), 12, 13.

37. Ted Gurr, "Historical Trends in Violent Crime: A Critical Review of the Evidence," in Crime and Justice, Volume 3: An Annual Review of Research, eds. Michael Tonry and Norval Morris (Chicago: University of Chicago Press, 1981), 307.

38. Lawrence Stone, The Past and the Present Revisited (London: Routledge, 1987), 30.

39. For an initial review of Given, see Thomas Green, "Review of Society and Homicide in Thirteenth-Century England, by J. B. Given," Speculum 54, No. 1 (1979): 137–40. For later comments, see Pieter Spierenburg, A History of Murder (Cambridge: Polity, 2008). Adrian Jobson, ed., English Government in the Thirteenth Century (Suffolk: The Boydell Press, 2004) is valuable for an account of C.A.F. Meekings' archival research, which was incomplete at the time that Given undertook his research.

40. For Sutherland's mature appreciation of the Eyre courts, see Donald Sutherland, "The Brotherhood and the Rivalry of English Lawyers in the General Eyres," American Journal of Legal History 31, No. 1 (1987): 1–8; and "Introduction," in The London Eyre of 1244, eds. Helena Chew and Martin Weinbaum (London: London Record Society, 1970), ix–xxxii.

41. "Introduction," in *The London Eyre of 1276*, ed. Martin Weinbaum (London: London Record Society, 1976), xi–xl.

42. Josiah Cox Russell, British Medieval Population (Albuquerque: University of New Mexico Press, 1948).

43. Rodney Hilton, A Medieval Society: The West Midlands at the End of the Thirteenth Century (Cambridge: Cambridge University Press, 2008).

44. Michael Prestwich, Plantagenet England, 1225–1360 (New York: Oxford University Press, 2005). For a review of Prestwich's book, see Lorraine Attreed, "Review of Michael Prestwich, Plantagenet England, 1225–1360," Speculum 81, No. 4 (2006): 1,243–45.

45. Henry Summerson, "Peacekeepers and Lawbreakers in London, 1276–1321," in Thirteenth Century England XII, Proceedings of the Gregynog Conference, 2007, eds. Janet Burton et al. (Woodbridge: Boydell & Brewer, 2009), 107–22.

46. Ted Gurr, "Historical Trends in Violent Crime: A Critical Review of the Evidence," in Crime and Justice, Volume 3: An Annual Review of Research, eds. Michael Tonry and Norval Morris (Chicago: University of Chicago Press, 1981), 305 citing James Given, Society and Homicide in Thirteenth-Century England (Redwood City: Stanford University Press, 1977), 13.

47. Frederic Maitland, Pleas of the Crown for the County of Gloucester Before the Abbot of Reading and His Fellows (London: Forgotten Books, 2013), 36. "Any one who is willing to take a little trouble," Maitland remarked, "and to remember that the scribes were listening to English and thinking in English, will find the Latin of these rolls easy enough." (at 29). Maitland then demonstrates in precise textual detail that nothing of the sort is true.

48. Warren Brown is an example. "I too am drawn to medieval violence," Brown remarks sheepishly at the beginning of his book, Violence in Medieval Europe. No kidding. Warren Brown, Violence in Medieval Europe (New York: Pearson Education, 2011), 1.

49. Manuel Eisner, "Long-Term Historical Trends in Violent Crime," Crime and Justice 30 (2003): 83.

50. Manuel Eisner, "Long-Term Historical Trends in Violent Crime," Crime and Justice 30 (2003): 84.

51. Lewis Richardson, Statistics of Deadly Quarrels (Chicago: Boxwood Press, 1960).

52. Henk Houweling and Jan Kuné, "Do Outbreaks of War Follow a Poisson-Process?" The Journal of Conflict Resolution 28, No. 1 (1984): 51–61. The authors make the same point.

53. William Feller, The Theory of Probability and its Applications, Vol. 1 (New York: John Wiley, 1950), 365.

54. William Feller, The Theory of Probability and its Applications, Vol. 1 (New York: John Wiley, 1950), 365.

55. Lewis Fry Richardson, Statistics of Deadly Quarrels (Pittsburgh: Boxwood Press, 1960), 35.

56. Steven Pinker, The Better Angels of Our Nature (London, Penguin Books, 2011), 248.

57. William Shakespeare, Henry IV, Part 1, Act III Scene 1, 52–54. ↩

58. مع نشر كتاب

Griff nach der Weltmacht: Die Kriegzielpolitik des kaiserlichen Deutschland 1914-1918 (Düsseldorf: Droste, 1961),

أكد المؤرخ الألماني فريتز فيشر، أو اعترف، بأن المسؤولية الأساسية لاندلاع الحرب العالمية الأولى تقع على عاتق الإمبراطورية الألمانية. يبدو أن الحكومة كانت لديها نوايا للحرب منذ فترة طويلة، وغالبًا ما صدَّرت لرعاياها مشاعر حربية. كانت الفضيلة العظيمة لعمل فيشر أنها استندت إلى فحص الأرشيفات الألمانية من عام 1870 إلى عام 1914 بشكل غير مسبوق في شموليته. من نواحٍ عديدة، فإن مناقشة فيشر للحرب العالمية الأولى تكرر كتاب لويجي ألبرتيني أصول حرب عام 1914، وترجمته وحررته إيزابيلا إم. ماسي (أكسفورد، مطبعة جامعة أكسفورد، 1952)، لكنَّه نُشِرَ لأول مرة باللغة الإيطالية في ثلاثينات القرن الماضي، وهو عمل منقطع النظير للتاريخ الدبلوماسي. كان ألبرتيني آخر مؤرخ رئيسي للحرب العالمية الأولى في وضع يسمح له بإجراء مقابلة مع بعض الشخصيات البارزة فيها.

قامت إيزابيل هال في كتابها، *الدمار المطلق. الثقافة العسكرية وممارسات الحرب في الإمبراطورية الألمانية* (نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل، 2004) قامت مُؤَخَّرًا بتأييد أطروحة فيشر وتوسيعها. لقد تأخرت إلى حد ما في إدراك أن الجيش الإمبراطوري الألماني كان ملتزمًا بمبدأ *الإبادة الكاملة للعدو*، كما كان الجيش الألماني يحتفي بهذا المبدأ كثيرًا. أن تأتي متأخرًا أفضل من ألا تأتي أبدًا. انظر جيلي فاردي "مراجعة الكتاب: إيزابيل هال، تدمير مطلق. الثقافة العسكرية وممارسات الحرب في الإمبراطورية الألمانية "، في مجلة جامعة ساسكس للتاريخ المعاصر 10 (2006).

لم تفتقر الإمبراطورية الألمانية إلى رجال عسكريين مستعدين للتعطش للدماء في القول والفعل. كان المثال الأكثر وضوحًا هو الجنرال فريدريش برناردي، الذي احتفل بالحرب باعتبارها ضرورة داروينية بعنوان "دويتشلاند أوند دير ناشست كريج"، الذي نُشر عام 1911. كان برناردي جنرالًا قديرًا بشكل استثنائي، كما كان رجلًا شجاعًا متميزًا. كتابه مثير للاشمئزاز على أيّة حال.

من نافلة القول أن التيار المضاد في الرأي الأكاديمي قد شكل نفسه بالفعل، وهو تيار يعهد ببعض المسؤولية عن اندلاع الحرب إلى كل طرف، ولا يُحمِّلُ طَرَفًا واحدًا كامل المسؤولية. راجع كتاب كريستوفر كلارك The Sleepwalkers: How Europe Went to War in 1914 (London: Harper Collins، 2013)، وكتاب Sean McMeekin، يوليو 1914: العد

التنازلي للحرب (New York: Basic Books، 2013). لا يوجد أي كاتب، وهذا مما يبعث على الارتياح، يملك أمرًا حسنًا ليقوله عن صربيا أو الصربيين. مهما كانت التنقيحات في المستقبل، فقد اتخذ نيال فيرجسون بالفعل خطوة واحدة أبعد من التمرد. بقي له فقط أن يجادل بأن بلجيكا انتهكت الحياد الألماني في عام 1914. في مقالته الطويلة، "ألمانيا وأصول الحرب العالمية الأولى: وجهات نظر جديدة"، المجلة التاريخية 35، العدد 3 (سبتمبر 1992): 725-52، جادل فيرجسون بأن الإمبراطورية الألمانية كانت تتخلف بثبات ومنهجية عن القوى الأُخرى في الموارد التي يمكن أن تخصصها لجيشها. قام فيرجسون بتضخيم هذه الأطروحة في كتاب شهير، The Pity of War (New York: Basic Books، 2000). من وجهة نظر فيرغسون، كانت إنجلترا هي التي تتحمل المسؤولية الأساسية لاندلاع الحرب، وكان العالم سيكون أفضل حالًا لو انتصرت ألمانيا في ساحة المعركة، ثم تُرِكَتْ لتُديرَ بهدوء الإمبراطورية الألمانية الجديدة. بالنظر إلى الإمبراطورية التي أدارها الألمان، فهذه أطروحة لا تُعْلِنُ نفسها على أنها بديهية. لا يزال مؤرخون آخرون يفكرون في التساؤل عما إذا كانت الحرب العالمية الأولى حتمية، أو حتى مُحْتَمَلَة. انظر هولجر أفليرباخ وديفيد ستيفنسون، حرب غير محتملة ؟: اندلاع الحرب العالمية الأولى والثقافة السياسية الأوروبية قبل عام 1914 (أكسفورد: كتب بيرجهن، 2007). يتفق الكاتبان على أن الحرب ربما كانت غير مُحْتَمَلَة، أو مُحْتَمَلَة، مُرَجَّحَة، أو غير مُرَجَّحَة، أو شبه حتمية، أو ليست حتمية على الإطلاق. بفضل الله فقط، لم يفكرْ أحدٌ منهم في استدعاء أسطورة البجعة السوداء لتفسير الأحداث.

59. عندما اندلعت الحرب، اكتشف كونراد الفارق الكبير بين طلب السلاح واستخدامه. تنجح مذكرات كونراد، Aus Meiner Dienstzeit، التي نُشرت في أربعة مجلدات بواسطة Rikola-Verlag، 1921-1925، في نقل الانطباع بأن مؤلفها كان قاتمًا من جميع النواحي.

60. رجال مثل فوجا تانكوسيتش، أحد الأعضاء المؤسسين لمُنَظَّمة اليد السوداء، أو رجالٍ مثل دراغوتين ديميتريفيتش، المعروف عمومًا باسم Apsis (الثور)، رئيس المخابرات العسكرية الصربية وزعيم اليد السوداء. على الرغم من أنَّ الرجلين كانا سَفَّاحَين، إلا أنه قيل إنَّ ديميتريفيتش (رغم عدم وجود دليل واضح) ماكر. لم يكن على أي حال ماكرًا بما يكفي ليتجنب إعدامه.

61. وقَّعت النمسا وألمانيا على مذكرة مشتركة في 24 سبتمبر 1879، ومعاهدة في 7 أكتوبر. تم تصور المعاهدة على أنها تحالف "السلام والدفاع المتبادل".

A. F. Pribram, *Die politischen Geheimverträge Österreich – Ungarns, 1879–1914*, Vol. I (Vienna, 1920) 25–31.

62. ما يُسَمّى بمذكرة ماتشيكو، المكتوبة في أوائل ربيع عام 1914، والتي لا علاقة لها بصربيا، ولكنَّها مُتَعَلِّقَةٌ برومانيا. قام وزير الخارجية النمساوي بيرشتولد، بإقناع فرانز جوزيف الأول [إمبراطور النمسا] بكتابة رسالةٍ بخط اليد إلى القيصر الألماني فيلهلم الثاني، مُذَكِّرًا بما يجب ألّا ينساه الرجلان: إن الهجوم على أيٍّ منهما، هجومٌ على كليهما. أضاف بيرشتولد رسالته الخاصة إلى رسالة الإمبراطور فرانز جوزيف، واختتم الكلام بتأكيد ميلودرامي بأن النسر النمساوي مصمم على تمزيق الشبكة التي كان ملفوفة حوله. قام مكميكين بجعل رئيس الوزراء المجري تيسا مصدرَ إلهامٍ للمُذَكرة. انظر: *سين مكميكين، يوليو 1914: العد التنازلي للحرب* (نيويورك: بيسك بوكس ، 2013)، 95. لا يوجد دليل على ذلك على أيّة حال. يشير كلارك إلى مذكرة ماتشيكو باعتبارها وثيقة مصابة بجنون العظمة، وهي إحدى سمات فيينا في نهاية القرن. تم تأليف المذكرة بعد أربعة عشر عامًا من انتهاء القرن، وكما ستكشف الأحداث على الفور، فإنها لا تحتوي على أي شيء يشير إلى جنون العظمة. انظر:

The Sleepwalkers: How Europe Went to War in 1914 (London: Harper Collins, 2013), 115.

يُشير AJP Taylor إلى مذكرة ماتشيكو كما لو أنَّ كاتبها هو بيرشتولد - مذكرته - لكنه يتجاهل تقديم أي دليلٍ. انظر:

A. J. P. Taylor، The Struggle for Mastery in Europe: 1848–1918 (Oxford: Clarendon Press, 1954) 521.

لا يمكن القول أن هذه الوثيقة قد ألهمت أكثر الأبحاث الجادة. مقال جون ليزلي، "أسلاف أهداف الحرب النمساوية المجرية،" في Hof-، Archiv und Forschung: Das Haus- und Staatsarchiv in seiner Bedeutung für die Geschichte Österreichs und Europas، eds. إليزابيث سبرينغر وليوبولد كاميرهوفر (Wien: 1993) دقيقان على الأقل في تعيين المؤلفين المناسبين للوثائق الصحيحة.

63. تعتبر الكلمات "غدًا، غدًا، ليس اليوم" بمثابة تحذير في ألمانيا، لكنها تشجيع في النمسا.

64. See Szögyéni to Berchtold, Österreich-Ungarns Aussenpolitik, vol. 8, doc. 10076, 320.

65. يبدو أنَّهما المطلبان الخامس والسادس، إذ يبدو أنَّهما يضُرّان بالسيادة الصربية من خلال المطالبة بحضور ممثلين الأجانب، ونمساويين، في أي لجنة صربية مُكَلَّفة بالتحقيق في الاغتيال. قيل إن سيادة الدولة الصربية مقدسة من قِبَلِ كلٍّ مكاتب الخارجية الإنجليزية والفرنسية، وهذا ورعٌ دبلوماسيٌّ يتعارض تمامًا مع طبيعته الحقيقية كسلسلة متشابكة من الخلايا الإرهابية.

66. يعود تاريخ التحالف الفرنسي الروسي إلى عام 1891. وهو المؤتمر العسكري بين فرنسا وروسيا في أغسطس 1892 الذي ارتاح فيه الفرنسيون. وجاء في مقالها الأول: "إذا تعرضت فرنسا للهجوم من قِبَل ألمانيا يجب على روسيا توظيف قواتها المتاحة لمحاربة ألمانيا". انظر الوثائق الدبلوماسية، L'alliance Franco-Russe (باريس، 1918)، 92، و A. F. Pribram، Die politischen Geheimverträge Österreich - Ungarns، 1879-1914، المجلد الأول (فيينا، 1920)، 25-31، ن. 40. اكتسبت الاتفاقية، بعد قبولها من قِبَلِ وزير الخارجية الروسي والسفير الفرنسي لدى روسيا عام 1893، اكتسبت قوة المعاهدة.

67. المؤرخون الذين اكتفَوا بإلقاء اللوم على الإمبراطورية الألمانية في اندلاع الحرب، قاموا، مشكورين، مؤخرًا بتحويل انتباههم إلى النمسا. انظر: See Richard Evans, "The Habsburg Monarchy and the Coming of War," in The Coming of the First World War, eds. Richard Evans & Hartmut Pogge von Strandmann (Oxford: Oxford University Press, 1990); F. R. Bridge, The Habsburg Monarchy: Among the Great Powers, 1815–1918 (Oxford: Oxford University Press, 1990); Graydon Tunstall, Jr., "Austria-Hungary," in The Origins of World War I, eds. Richard Hamilton & Holger Herwig (Cambridge: Cambridge University Press, 2003); Alma Hanning, "Die Balkanpolitik Österreich-Ungarns," in Der Erste Weltkrieg auf dem Balkan: Perspektiven der Forschung, ed. Jürgen Angelow (Berlin: Bebra Wissenschaft, 2011). كل ما يمكن قوله بشكل مبرر هو أن السياسة النمساوية كانت غير كفؤة بشكل ملحوظ، ولكن ليس لأنها كانت غير مبررة. لم تُحسِّن الأحداث التي وقعت في يوليو من عام 1914 بريق أي خدمة دبلوماسية. للتفاصيل انظر:

Ludwig Bittner and Hans Übersberger, eds., *Österreich-Ungarns Aussenpolitik von der bosnischen Krise 1908 bis zum Kriegsausbruch 1914*, 8 Vols., Vienna 1930, Vol. 8, No. 9918, 189–93. Many of these documents are online at The World War I Document Archive (editor, Richard Hacken, 2010. Brigham Young University Library, 15 May 2010). ↩

68. حول هذه النقطة، انظر:

Sean McMeekin, *July 1914: Countdown to War* (New York: Basic Books, 2013), 404.

طوال أزمة يوليو، حاول كلٌّ من جراي ورئيس الوزراء هربرت أسكويث تحليل الفرق الدقيق بين التحالف والوفاق مع فرنسا. في سيرته الذاتية: نشأة الحرب (نيويورك: شركة جورج إتش دوران، 1923)، 99، أشار أسكويث بشكل إيجابي إلى سياساته التي حافظت على تردد مدروس في الحكم. بالنظر إلى الخلط بين الوفاق -الذي هو بطبيعته غامض- والتحالف –غير الغامض- فإن الإنجليز لم يعرفوا ما إذا كانوا سيذهبون إلى الحرب، حتى ذهبوا إليها. لماذا يجب على أي شخص أن يعتقد أن هذا أمر جيد؟ هذا أمر لم يستفسر عنه أسكويث أبدًا. ↩ For Britain's obligations to Russia, see George Gooch and Harold Temperley, eds., British Documents on the Origins of the War, 1898–1914, 11 Vols. (London, 1926). These agreements were not treaties, and concerned Persia, the Persian Straits, and Afghanistan.

69. كانت القضية الأكبر التي استحوذت على اهتمام برينسيب والمتعاونين معه هي ضم النمسا للبوسنة والهرسك عامَ 1908، وبالتالي جلب عددًا كبيرًا من الصرب تحت الحكم النمساوي المجري. صدق الضم بشكل رسمي على الهيمنة النمساوية على البوسنة والهرسك التي كانت حقيقة بسيطة من حقائق الحياة منذ مؤتمر برلين.

70. Jonathan Glover, Humanity: A Moral History of the 20th Century (New Haven, CT: Yale University Press, 2000), 177–99.

71. A point emphatically denied by Barbara Tuchman in The Guns of August (London: MacMillan, 1962), 80. Tuchman cites General von Staab, chief of the German Railway Division, but does not specify a source. She was, perhaps, referring to Hermann von Staabs, Aufmarsch nach zwei Fronten : auf Grund der Operationspläne von 1870-1914 (Berlin: E.S. Mittler, 1925).

72. يشير السجل الدبلوماسي إلى أن كل مكاتب الخارجية كان على دراية بخطر نشوب صراع أوروبي عام. ما لم يدركه أحد تمامًا هو حجمه المحتمل، وهذا أمر آخر تمامًا. الحقيقة لم تتآخر طويلا. في ملاحظة مريرة لممثلي إيطاليا والحكومات الأجنبية، كتب بارون سيدني سونينو، وزير الخارجية الإيطالي، عن الجهود الإيطالية "لتجنيب أوروبا صراعًا واسعًا من المؤكد أنه سيغمر القارة بالدم، ويحولها إلى خراب يتجاوز تصوُّرَ الخيالِ البشري". وكان ذلك بتاريخ 23 مايو 1915، وبينما ربما بذلت وزارة الخارجية الإيطالية جهودًا لتجنيب القارة الحرب، لم يعرب الدبلوماسيون الإيطاليون الذين كتبوا قبل عام 1914 عن قلقهم الحقيقي بشأن احتمال أن تغرق الحرب القارة بالدماء، أو بأي شيء آخر. أعيد طبعه في كتاب جيمس برأون سكوت، *الوثائق الدبلوماسية المتعلقة باندلاع الحرب الأوروبية* (نيويورك: 1916). كانت إيطاليا متحالفةً رسميًا مع ألمانيا والنمسا وكانت مصممة على عدم الانضمام إلى قوات الحلفاء أو المحور في القتال حتى تتمكن من تحديد الجانب الأقرب لتحقيق النصر. إنها سياسة تثير الإعجاب حتى اليوم.

73. فلسفة القانون، هو التخصص الذي حصل في اختباراته على المركز الثالث.

74. كانت سمعة بيرشتولد في عدم الثقة بنفسه غير عادلة. في مايو 1913، أصدرت وزارة الخارجية النمساوية، بتعليمات منه، إنذارًا نهائيًا إلى الجبل الأسود يطالب بسحب قوات الجبل الأسود من ألبانيا، الدولة التي تم إنشاؤها حديثًا بواسطة مؤتمر القوى العظمى عام 1912؛ وفي أكتوبر من عام 1913، عندما شاهد بيرشتولد لامبالاة القوى العظمى تجاه الغارات الصربية في ألبانيا، تحرَّك وحيدًا ليجبر الصرب على الانسحاب. تولى بيرشتولد منصبه في عام 1912. انظر:

Hugo Hantsch, *Leopold Graf Berchthold: Grandseigneur und Staatsmann* (Verlag Styria, 1963).

يشتمل الجزء الأكبر من هذا الكتاب على سِجِلٍّ بِخُطَبِ بيرشتولد، ومذكراته الشخصية، ومذكراته الدبلوماسية، ورسائله. من الغريب أنها تبدو السيرة الذاتية الوحيدة المتاحة على نطاق واسع لبيرشتولد في أي لغة أوروبية.

75. سأل الأمير فون بولوف بيثمان هولفيغ: "أخبرني، على الأقل، كيف حدث كل هذا". رفع بيثمان ذراعيه قائلا: "لو كنت أعلم فقط". انظر: الأمير فون بولوف، مذكرات الأمير فون بولوف: الحرب العالمية وانهيار ألمانيا، 1909-1919 (1932)، 145.

كان فون بولوف سلف بيثمان كمستشار. نُشرت مذكرات فون بولوف باللغة الألمانية تحت عنوان Denkwürdigkeiten [تذكارات] (برلين: Verlag Ullstein، 1930)، وهي كلمة تنقل جانبًا معياريًا غائبًا عن اللغة الإنجليزية.

76. بعد 13 عامًا من اندلاع الحرب العالمية الأولى، نشر سازونوف مذكراته في باريس بعنوان Les annés fatales (Paris: Payot، 1927). إنهم يعبرون عن المشاعر التي عبرت عنها جميع المذكرات تقريبًا حول الحرب العالمية الأولى، وهذا محير لأنَّ مثل هذا الشيء كان يجب أن يحدث. إن كتاب ونستون تشرشل *أزمة العالم*، وهو تحفة فنية في أي قراءة، هو الاستثناء.

77. Virgil, The Æneid.

78. Karl Schlögel, Moscow 1937, trans. Rodney Livingstone (Cambridge: Polity, 2012), 1.

79. كتبت فيفيان جورنيك في صحيفة "ذا نيشن"، في ديسمبر 2013 عن النازيين: "لكن ما لم يقللوا اهتمامهم به، هو تطبيق ما أسماه [بريمو] ليفي "العنف غير المجدي". ... لماذا؟ هذا هو السؤال الذي بقي بريمو البالغ من العمر 24 عامًا - وهو طفل من أبناء عصر التنوير، وملتزمٌ بحكم العقل [التأكيد مُضاف]- بقي يسأله لنفسه".

هذه ملاحظة مميزة للغاية. وتشير إلى أنَّ جورنيك، مثل ليفي، عند النظر في فئة العنف غير المجدي، يمكن أن يستنتج فقط أن النازيين لم يكونوا أبناء عصر التنوير ولم يكونوا ملتزمين بحكم العقل. إنَّهم أسوأ من هذا بكثير. يُغري المرء أن يسأل: لماذا لا يكونون أسوأ من عصر التنوير وقواعد العقل؟ فيفيان جورنيك، "Without Respite"، ذا نيشن، 25 نوفمبر 2013.

80. W. H. Auden, New Year Letter.

81. A. J. P. Taylor, The Course of German History: A Survey of the Development of German History since 1815 (London: Routledge, 1945), 268. These are the concluding words of his book.

82. Quoted in Simon Leys, The Hall of Uselessness: Collected Essays (New York: New York Review Books Classics, 2013), 408.

83. This is a question that Pinker himself raises; needless to say, he resolves the issue in his favor.

84. Steven Pinker, The Better Angels of Our Nature (London: Penguin Books, 2011), 235–236.

85. Yang Gufei, "The Song of Everlasting Sorrow."

86. A sense for the tone appropriate to his subject is not among Pinker's stylistic accomplishments. Steven Pinker, The Better Angels of Our Nature (London: Penguin Books, 2011), 234.

87. انظر موقع بينكر Pinker's website، في إضافة متأخرة إلى موقعه، يسأل بينكر السؤال الواضح ما إذا كان العنف قد زاد بشكل مزعج منذ نشر كتابه، لكنه لا يجيب. ويبقى السؤال بلا إجابة. ↩

88. Alan Hájek, "The Reference Class Problem is Your Problem Too," Synthese 156 (2007): 563–85. Hájek's paper is, except for its conclusions, correct in its diagnoses.

89. The underlying issue of statistical homogeneity is by no means trivial. See Vladislav Shvyrkov and Arch David III, "The Homogeneity Problem in Statistics," Quality and Quantity 21, No. 1 (1987): 21–36.

90. Steven Pinker, "Frequently Asked Questions."

91. Manuel Eisner, "Long-Term Historical Trends in Violent Crime," Crime and Justice 30 (2003): 106.

92. في كتابه *Persécutions et entraides dans la France occupée* (Paris: Édition du Seuil, 2013) يلاحظ جاك سيملين، ببعض الارتياح ما يلي: "بما أن حوالي ثلاثمائة وثلاثين ألف يهودي كانوا يعيشون في بلادنا في ذلك الوقت، فهذا يعني أن 75٪ منهم تمكنوا من الفرار من الإبادة. بالنسبة لليهود الفرنسيين، تبلغ هذه النسبة حوالي 90٪". تعتبر المقارنة مع بلجيكا وهولندا مصدرًا إضافيًا للرضا: "وبالمقارنة، بلغ عدد الناجين في بلجيكا 55٪ بينما في هولندا، فقد بلغ 20٪". سيملين صحيح إلى حد كبير. تتوافق ملاحظة سيملين أيضًا مع حقيقة أن عدد القتلى بين اليهود الذين لا يحملون الجنسية الفرنسية، اقترب من 100٪.

93. تتميز صفحة ويكيبيديا الفرنسية French *Wikipedia* page بجودة عالية للغاية، وتحتوي على قائمة شاملة بالمراجع الفرنسية. لا يمكن أن يكون قد كتبه إلا أحد كبار العلماء في المركز الوطني للبحوث العلمية. على عكس الألمان، لم يشعر الفرنسيون بالدناءة بسبب دورهم في الهولوكوست، ولكن إذا لم يشعروا بالخجل، فعلى الأقل يشعرون بالحرج. ولأسباب واضحة: "تم التخلي عن اليهود الأجانب والمهاجرين، وبُذلت جهود لحماية اليهود الأصليين. إلى حد ما، لاقت هذه الإستراتيجية نجاحًا. بالتخلي عن جزء، تم حفظ المعظم". انظر: راؤول هيلبرج، تدمير يهود أوروبا، المجلد الثاني. (نيويورك: هولمز ومايير، 1985)، 609.

يحتوي موقع: *Anonymes, Justes et persécutés durant la période nazie dans les communes de France* على سرد شامل لعمليات الترحيل اليهودية التي نَظَّمتها الإدارات في جميع أنحاء فرنسا. الموقع مُنَظَّمٌ حسب الأسس الفرنسية لإنشاء مواقع الانترنت، أي لا تمكن قراءته.

94. كتب مانويل آيزنر: "معظم علماء الجريمة لا يعتبرون أنفسهم مُؤَهَّلين لتحليل هذه الأنواع من مستويات القتل، معتقدين أن الإبادة الجماعية والحروب الأهلية شيء مختلف تمامًا عن القتل الإجرامي، ومن الأفضل تحليلها من قبل علماء الاجتماع أو علماء السياسة." مانويل آيزنر، "ما الذي يسبب تباينًا واسع النطاق في معدلات جرائم القتل؟" معهد علم الجريمة، جامعة كامبريدج (ورقة عمل، يوليو 2012): 6.

في حاشية تتأمل هذه القضية فقط، يلاحظ جيمس غيفن: " نادرًا ما قتل الأوروبيون في القرن العشرين مواطنيهم؛ لكن خلال حربين رئيسيتين في هذا القرن، ذبحوا بشكل منهجي عدة ملايين من الناس". إذا كان الأوروبيون في القرن العشرين قد ذبحوا بشكل منهجي عدة ملايين من الناس، فمن الواضح أنهم قتلوا مواطنيهم في كثير من الأحيان. نسبة كبيرة جدًا من القتلى لم يُقْتَلوا أثناء الحرب؛ وقُتِلَ أكثر بكثير من "عدة ملايين". يشعر المرء بالامتنان لأنه، على الأقل، لاحظ جيمس غيفن أن إحصاءات القتل كما يفهمها علماء الجريمة، لا تعكس سوى القليل من عنف القرن العشرين. انظر: جيمس جيفن، المجتمع والقتل في إنجلترا في القرن الثالث عشر (ريدوود سيتي: مطبعة جامعة ستانفورد، 1977)، 72.

95. سِفْر التكوين 7:4.

96. Hannah Arendt, Eichmann in Jerusalem (New York: Penguin Books, 1994), 273.

97. يقول الدكتور جونسون: "مهما كان سبب الفساد البشري، من الواضح أنَّ البشر فاسدون للغاية، لدرجة أنَّ كل قوانين الأرض والسماء لم تكن كافيةً لثنيهم عن ارتكاب الجرائم". انظر:

James Boswell, *Life of Johnson* (Oxford: Oxford University Press, 1904), 1190.

98. Hannah Arendt, Eichmann in Jerusalem (New York: Penguin Books, 1994), 273.

المصدر

https://inference-review.com/article/the-best-of-times

فقه تدبير المعرفة

رقم الملف
pdf-7-3

يمكنك الوصول للمقال عبر:
Atharah.com/pdf-7-3